وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: م أ ع/2014/354

ثنائية (العنف/المرأة) في رواية أم سعد لغسان كنفاني

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي فرع: الأدب العربي تخصص: أدب عربي حديث

إعداد الطالبة :
- نادية قاقي

إشراف الدكتورة :
– حياة بوخلـــط

تاريخ المناقشة:2016/05/17

لجنة المناقشة

– د.حورية زلاقي.....رئيسا
– د.حياة بوخلط.....مشرفا
– د.حكيمة بوقرومة.....ممتحنا

السنة الجامعية: 2015–2016

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــــــدمة:

إنّ الحياة اليومية التي نعيشها كانت و لا تزال مسرحا للعديد من مظاهر العنف، هذا الأخير الذي استقطب الكثير من الباحثين و في جميع المجالات، و قد تعددت تصنيفاته و أنواعه ومن بينها العنف الممارس ضد المرأة.

وبالرّغم من المكانة التي حظيت بها المرأة عموما و المرأة الفلسطينية على وجه الخصوص في شتى مجالات الحياة إلاّ أنّها لا تزال تعاني من العنف الممارس ضدّها،و تحديدا من طرف الرجل الذي مارس عنفه عليها بأشكال متنوعة .و مع انتشار هذا العنف في المجتمعات العربية خاصة المجتمع الفلسطيني إلاّ أنّه لم يحظ بالاهتمام لاعتبارات عديدة ، من أهمها أنّه يعدّ من الأمور الشخصية و الخاصة التي لا يجوز البوح بها أو التدخل فيها.

اهتمت الرواية العربية بهذا الموضوع الذي كان سببا في نجاح و شهرة بعض الأعمال الروائية العربية: كروايات الجزائري واسيني الأعرج ، ورواية عزازيل ليوسف زيدان التي حازت على جائزتين ؛ "جائزة بوكر العربية" عام 2009 و "جائزة أنوبي البريطانية" لأفضل رواية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية عام 2012 .

إنّ الحديث عن أوضاع المرأة العربية الفلسطينية و ما تعانيه من اضطهاد و عنف في محيطها الاجتماعي ، و مدى تحدّيها لأوضاعها المزرية و جعلها من هذا العنف دافعا لتطوير مسارها و الدفاع عن أفكارها هو سبب اختياري لهذا الموضوع ، و ذلك بإلقاء الضوء على هذه الظاهرة و دراستها من حيث أسبابها و عواقبها و نتائجها و لكن من منظور الأدب العربي من خلال الأعمال الروائية العربية الحديثة،و كأنموذج على ذلك اتكأت على رواية غسان كنفاني الموسومة ب:" أم سعد" لدراسة الظاهرة و تحليليها .

تساؤلات كثيرة واجهتني أثناء البحث و النقاش ، تبحث في ماهية الشيء "كيف ولماذا" و لعل أهمها :

ــ كيف عالج الروائي العربي ظاهرة العنف ضدّ المرأة في نصوصه السردية ؟ هل كان متحاملا على المرأة أم مدافعا عنها؟.

ــ ما مدى تأثر المرأة بالعنف الممارس ضدّها؟ و كيف استطاع الروائي العربي أن يصور المرأة ؟.

ــ ما هو الدور الذي أعطاه غسان كنفاني للمرأة في روايته "أم سعد" ؟ و كيف هي حالة المرأة و العنف في هذه الرواية ؟ هل اتفقا على العيش معا أم للمرأة تحدياتها وآراءها الخاصة بها، جعلت من هذا العنف دافعا بتحديها للأوضاع السائدة في المجتمع الفلسطيني؟.

و للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدت على جملة من المصادر و المراجع أهمها: "رواية أم سعد لغسان كنفاني" ، و" كتاب سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي" لطه عبد العظيم حسين ، و كتاب حسان رشاد الشامي الموسوم ب :"المرأة في الرواية الفلسطينية " ، وعلى مجموعة من المجلات و المنتديات و الكتب المترجمة .

و قد اقتضت طبيعة موضوعي هذا أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي ؛ المنهج الوصفي في الدراسة النظرية للعنف ضد المرأة ، و المنهج التحليلي من خلال دراستي لمضامين النصوص السردية العربية.

وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة فصول ؛ تناولت في الفصل الأول الموسوم بـــ : "العنف من الدوافع إلى الآثار" مفاهيم العنف خاصة العنف ضدّ المرأة معرجة على الأشكال التي مورست عليها من خلال الأعمال الروائية العربية الحديثة.

أمّا الفصل الثاني الموسوم ب :"صورة المرأة العربية الفلسطينية في الرواية العربية الحديثة " تحدثت فيه عن الصورة التي أعطاها الروائي العربي للمرأة العربية عموما و الفلسطينية خصوصا.

أمّا الفصل الثالث ؛ فقد جاء تطبيقا ذكرت فيه نماذج (العنف الممارس ضدّ المرأة ،و صورة المرأة) من صدر الرواية ليكون بذلك امتدادا لما جاء في الفصول السابقة .

أمّا عن الصعوبات فلعلّ أهمها قلّة المراجع التي تدرس العنف في الكتابات الأدبية.

وأخيرا إنّه ليقودني شرف الوفاء والاعتراف بجميل النبل بعد ختم مذكرتي بتوفيق من الله أن أتوجه بشكري الخالص و امتناني للأستاذة المشرفة "**بوخلط حياة**" ،التي راعت طلباتي وأحاطتني بالاهتمام و كذا بقبولها الإشراف على مذكرتي، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم و سهل لي إعداد هذا البحث من قريب أو بعيد.

الفصل الأول

العنف من الدوافع إلى الآثار

المبحث الأول :مفهوم العنف

المبحث الثاني :أشكال العنف الممارس ضد المرأة

المبحث الثالث: ظاهرة العنف الممارس ضد المرأة في الرواية العربية الحديثة

المبحث الأول :مفهوم العنف

المبحث الثاني :أشكال العنف الممارس ضد المرأة

المبحث الثالث:ظاهرة العنف الممارس ضد المرأة في الرواية العربية الحديثة

المبحث الأول: مفهوم العنف

1ـ لغة : تشتق كلمة عنف في اللغة العربية من جذور (ع–ن–ف): وهو الخرق بالأمر وعدم الرفق به، وهو ضد الرفق، وهو الغلظة والفضاضة. وهو عنيف: إذا لم يكن رفيقا في أمر ، أما الشخص العنيف فهو: الذي لا يحسن الركوب . وأعنف الشيء أخذه بشدة، واعتنف الشيء كرهه.

والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم.[1]

وهكذا تشير كلمة –عنف– في اللغة العربية إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتقريع.

وعلى هذا الأساس فإن العنف:" قد يكون فعليا أو قوليا".[2]

وقد جاءت كلمة العنف في الحديث الشريف بقول رسول الله صل الله عليه وسلم لعائشة: "يا عائشة إن الله يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف".[3] هكذا يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الابتعاد عن العنف واللجوء إلى الرفق .

ولقد اشتق مفهوم العنف من الكلمة اللاتينية Violence بمعنى: القوة ، وكلمة يعنف بمعنى: يحمل، وعليه فإن الكلمة في مفهومها العام تعني:حمل القوة اتجاه شيء ما أو شخص ما أو آخرين.[4]

---

[1]-ا بن منظورجمال الدين ، لسان العرب ، د.ط ، دار صادر ، بيروت : 1968، المجلد التاسع، ص257 و 258.

[2]- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ، د.ط ، دار الفكر ، لبنان :1973، ص475.

[3] -رواه مسلم في صحيحه ، رقم:2593.

[4]- حسين توفيق إبراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، د.ط ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت:1990 ، ص14.

ومن خلال هذه الكلمة اللاتينية يستنتج أنّ العنف هو الإساءة إلى الغير أو الأشياء وذلك باستعمال القوة كالتعدي على الأفراد وسلبهم حرياتهم، و حرق المصانع وتخريب المؤسسات التربوية ... وغيرها.

2ـ اصطلاحا :

إنّ الأعمال التي تناولت ظاهرة العنف كثيرة وكثيرة جدا، والبحث عن تعريف موحد وشامل للعنف أمر صعب نظرا لتشعب الميادين والنظريات والتخصصات (علم النفس، علم الاجتماع وعلم القانون والسياسة).

لذلك تختلف تعاريفه باختلاف الأسباب والدوافع ولكل وجهة نظر فكرية ينطلق منها ولكنها تشترك في بعض النقاط فيما يخص معنى العنف و الأثر الناتج عنه.

وفي التعريف الاصطلاحي سيسلط الضوء على بعض المفاهيم التي تعالج قضية العنف (مفاهيم العنف):

أ ــ تعرف منظمة الصحة العالمية العنف بأنّه الاستخدام المتعمد للقوة أو السلطة و التهديد بذلك ضدّ الذات أو ضدّ شخص آخر أو مجتمع بأكمله ، مما يترتب عنه أو قد يترتب عنه أذى أو موت أو إصابة نفسية أو اضطراب في النمو و الحرمان.[1]

ومن خلال هذا التعريف يستنتج بأنّ العنف قد يكون ماديا أو معنويا باستخدام القوة أو التهديد باستخدامها ، ويكون ضدّ الذات أو الغير، ويترتب عليه أضرار جسمية ونفسية.

ب ــ العنف من المنظور النفسي:

يعرّف "سعد المغربي" في كتابه" سيكولوجية العدوان و العنف" بأنّه:" استجابة سلوكية تتميز بصفة انفعالية شديدة، تنطوي على انخفاض مستوى البصيرة والتفكير،

[1]– غيدا عناني، العنف ضدّ المرأة من النظري إلى التطبيق، ط1، منظمة كفى عنف واستغلال، لبنان– بيروت: د.ت، ص 03.

ويكون ضرورة في موقف معين وظروف معنية للتعبير عن واقع معين تعبيرا عميقا جذريا يقتضي استخدام العنف أو العدوان".[1]

إذا العنف هو استجابة لسلوك عدواني تتسم و تتميز هذه الاستجابة بالشدة والتصلب تجاه شخص أو موضوع معين ،لا يمكن التحايل عليها أو إخفاؤها وإذا استمرت في الازدياد تكون مدمرة.

و به يرتبط العنف بعدة أبعاد أهمها البعد النفسي الذي يكون سببا في بروز هذه الظاهرة من خلال الضغوطات النفسية الناتجة عن الإحباط المستمر.

ج-العنف من المنظور الاجتماعي:

يعرف "مصطفى حجازي" العنف في كتابه "مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور" بقوله:" هو لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس الفرد بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي ، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بكيانه وقيمته"[2].

مصطفى حجازي يعتبر العنف آخر وسيلة يلجأ إليها الفرد حين لا ينفع الحوار وحين تغلق كل الأبواب في تحقيق رغباته أو إيصال صوته للآخرين ، وأيضا عندما يريد الاعتراف به كفرد ينتمي إلى المجتمع وله حقوق يريد الحصول عليها.

وهذا ما يؤكده الكاتب الفرنسي دومیناك بقوله: "إنّ العنف بشع، ومع هذا يستهوي الكثيرين لأنّه يمكن القوي من إقامة علاقات مفيدة عمليا مع أولئك الذين هم أضعف منه دون أن يبذل أي جهد ، أو يقوم بعمل شاق"[3]. أو يلجأ إلى الحوار أو المفاوضة والإقناع.

---

[1]– سعد المغربي، في سيكولوجية العدوان والعنف، مجلة علم النفس، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة : 1987 ، ص26.

[2]– مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د.ط ، المركز الثقافي العربي، بيروت: 2000، ص 263.

[3] _نبيل راغب ، موسوعة الفكر الأدبي، د.ط ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة: د.ت، ص281 .

وإذا رجعنا إلى العنف في كونه ظاهرة اجتماعية فإنّها تتأثر وتؤثر في أفراد المجتمع وذلك بكبت حرياتهم وفرض الأمور والأشياء عليهم بالقوة والإكراه:" فيترك أثرا مؤلما على الأفراد في النواحي الاجتماعية والاقتصادية التي يصعب علاجها في وقت قصير، ومن ثمة فإنّه يدمر أمن وأمان أفراد المجتمع"[1].

والعنف من هذا المنظور نجده متجذرا في بعض القرى والأرياف التي تكون ضدّ رغبات بناتها في الذهاب إلى مقاعد الدراسة، وتزوجهن في سن مبكرة ومن شخص مسّن إلى غير ذلك من الضغوطات والإكراه.

د-العنف من المنظور القانوني والسياسي:

العنف من المنظور القانوني هو كل فعل ظاهر أو مستتر، مباشر أو غير مباشر، مادي أو معنوي، موجه لإلحاق الأذى بالذات أو بآخر أو جماعة أو ملكية واحد منهم وهذا فعل يعاقب عليه القانون[2].

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ للعنف أشكال متعددة والغرض واحد هو إلحاق الأذى بالذات أو الآخر – والآخر يكون فردا أو جماعة – والقانون يعاقب الشخص الذي يمارس العنف.

وها هي" سعاد عبد الله العنزي" في كتابها "صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة" تعرف العنف من المنظور السياسي بقولها:" هو تلك الأعمال الإرهابية التي صدرت من منظمات مسلحة تنتمي إلى الاسلاموية الحزبية المتطرفة،

[1] _مارينا كامارجو أبلو، هل تغرس جذور العنف في المدرسة ، مجلة مستقبليات ، المجلد27 ، العدد الثالث،1997 ، ص52.

[2] _محمد سلامة ، إجرام العنف، مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الرابعة والأربعون ، العدد الثالث ، القاهرة: 1974، ص270.

والتي وجهت عنفها إلى الشعب بكافة فئاته بدءا من المواطن البسيط إلى المثقف إلى رجل السلطة"[1].

سعاد عبد الله العنزي في تعريفها هذا تركز على الأعمال الإرهابية إبّان العشرية السوداء والتي كان ضحيتها أفراد الشعب بمختلف مستوياتهم.

وفي وقتنا الحالي تعددت أدوات العنف ، وهذا ما تؤكده "حنة ارندت" في كتابها "في العنف" حيث تقول :" إنّ أدوات العنف قد تطورت تقنيا إلى درجة لم يعد من الممكن معها القول بأنّ ثمة غاية سياسية تتناسل مع قدرتها التدميرية ، أو تبرر استخدامها حاليا في الصراعات المسلحة"[2]. هذه الأدوات أصبحت تستخدم في الصراعات الدولية فكان ضحيتها هو الإنسان الضعيف.

ومما تقدم يمكن القول بأنّ العنف من هذا المنظور هو استعمال القوة ضدّ الآخر وإخضاعه للأوامر باستعمال أدوات عديدة، فيكون بدنيا أو جنسيا.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأنّ ظاهرة العنف ليست ظاهرة حديثة بل قديمة ترمي إلى إيقاع الأذى الجسمي أو النفسي أو كليهما بشخص ما أو بجماعة ما. وقد يمارس العنف ضدّ الأشياء عن طريق تحطيمها أو إتلافها، كما قد يعني العنف الترويع والتهديد والتخويف استنادا إلى القوة الجسمية.

ولقد حدث أول عنف في التاريخ البشري على الأرض بين ابني آدم الذي انتهى بأول جريمة قتل وقعت على الأرض ، لقد كانت حواء تلد في البطن الواحد ابنا وبنتا وفي البطن التالي ابنا وبنتا ، فيحل زواج ابن البطن الأول من البطن الثاني. فأراد هابيل أن يتزوج أخت قابيل ، إلا أنّ قابيل أراد أخته لنفسه لأنّها كانت أجمل من أخت هابيل فأمرهما آدم أن يقدما قربانا ، فقدم كل واحد منهما قربانا .

---

[1]–سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ط1 ، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت: 2010 ، ص 19.

[2]–حنة ارندت ، في العنف ، ترجمة: إبراهيم العربي ، ط1 ، دار الساقي ، بيروت–لبنان: 1993 ، ص 05.

كان هابيل صاحب غنم فقرب واحدة سمينة ، بينما كان قابيل صاحب زرع فقدم حزمة من رديء الزرع فتقبل الله من هابيل ولم يتقبل من قابيل فغضب قابيل وهدد أخاه بأن يقتله، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: الآيات: 27-30].

وفي العصر الحديث اتسعت ظاهرة العنف وزادت حدتها وتباينت أشكالها، فأصبح حدثا مقيدا بعوامل خارجية وداخلية مختلفة لكل من المتسلط و الضحية أو المعنّف والمعنّف ، كما اعتبر مرضا اجتماعيا يعاني منه بعض الأفراد فلم يعد مقتصرا على فئات معينة من المجتمع ، بل أصبح يشمل كثيرا من فئاته وشرائحه على الإطلاق ومن بينهم المرأة.

فما هو العنف ضدّ المرأة؟

3-العنف ضدّ المرأة(violence againstwomen) :

المرأة هي الشق الثاني من الإنسان المعمّر لهذه الأرض ، ولفظة المرأة في اللغة العربية مشتقة من فعل مرأ، ومصدرها المروءة وتعني كمال الرجولية والإنسانية. من هنا المرأة هي الإنسان، والمرأة هي مؤنث الإنسان.[1]

كما تشير كلمة المرأة في اللغة العربية إلى الإنسان الأنثى البالغة ، بل إنّ البعض يفهمها على أنّها تشير إلى الأنثى المتزوجة أو التي سبق لها الزواج إلاّ أنني في هذه الدراسة سأستخدم مفهوم المرأة بشكل عام أي الإنسان الأنثى بغض النظر عن سنّها أو حالتها الزوجية أو وضعيتها الاجتماعية.

عرّف **الإعلان العالمي لمناهضة العنف ضدّ المرأة 1993** العنف ضدّ المرأة على أنّه:" فعل عنيف تدفع إليه عصبة الجنس ويترتب عليه أو يرجح أن يترتب عليه أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية ، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية ، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة".[2]

حسب هذا التعريف فإنّ العنف المبني على النوع الجنسي يحتوي على مجموعة من السلوكيات المؤذية والمسيئة الموجهة نحو المرأة بسبب انتماءها الجنسي بما في ذلك الإساءة الزوجية والتهجم، والتحرش الجنسي وسوء التغذية وغيرها من الأعمال المؤذية والممارسة ضدّها.

---

[1]-ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ العربي ، د.ط ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق : 1970، ص 15.

[2]-غيدا عناني ، العنف ضدّ المرأة من النظري إلى التطبيق ، ص 05 .

كما يعرفه " طه عبد العظيم حسين "في كتابه "سيكولوجية العنف العائلي والأسري" بقوله :" إنّه الاعتداء الجسمي والنفسي من الرجل ضدّ المرأة والذي يؤدي إلى إلحاق الأذى والضرر بها".[1]

إذا العنف ضدّ المرأة يقوم على الشدة والإكراه ، ويتخذ أشكالا عديدة كالإساءة أو الأذى بدنيا أو جنسيا أو نفسيا ، و يمارس غالبا من طرف الرجل الذي يمثل الجنس الآخر.

رغم الاهتمام المتزايد بمشكلة العنف ضدّ المرأة إلاّ أنّه من الصعب أن نضع مفهوما موحدا متفقا عليه لمصطلح العنف ضدّ المرأة ، وهذا ما أكده "محمد الحاج يحي" في كتابه "العنف ضدّ النساء في المجتمع الفلسطيني" بقوله :" الكثير من المصطلحات الشائعة عن هذه المشكلة لها معاني مختلفة في العلوم الاجتماعية والنفسية والسلوكية".[2]

وأحد النماذج الأكثر شيوعا لفهم العنف ضدّ النساء هو العنف الأسري الذي يتطرق لكل أشكال الإساءة داخل الأسرة ، لكنّه لا يشمل أنواعا وأشكالا كثيرة من العنف الذي تتعرض له المرأة خارج البيت والأسرة ، لذا كانت دراسة العنف ضدّ المرأة أوسع مجالا أو نطاقا من العنف الأسري المحصور في الأسرة فقط .

ومما لا يختلف فيه أنّ العنف ضدّ المرأة ظاهرة عالمية، فالمرأة في جميع دول العالم بلا استثناء تتعرض إلى العنف بكل أشكاله. فهي للأسف مقهورة ومضطهدة في جميع المجتمعات بلا استثناء حتى الدول الغربية التي تدّعي إنصافها للمرأة.

---

[1]–طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، د.ط ، دار الجامعة الجديدة ، الأزاريطة ــ الإسكندرية : 2007، ص 36.

[2]–محمد الحاج يحي ، العنف ضدّ النساء في المجتمع الفلسطيني ، ط1 ، منشورات مفتاح ، فلسطين : 2013 ، ص 43.

تقول الإحصائيات ؛ أنّ مليار امرأة في العالم تعاني من العنف الأسري، ومليون ونصف مليون امرأة فرنسية تعاني سنويا من ضرب الزوج أو الشريك. وبلغت جرائم الاغتصاب في أمريكا عام 1995 ألف جريمة...وغيرها.[1] وإن كان هذا يحدث في المجتمعات الغربية فهو أمر متوقع حدوثه في مجتمعات اعتمدت التشريعات الوضعية وتركت التشريع الإلهي.

لكنّ الأدهى والأمر أنّ من يمارس العنف ضدّ المرأة أحد أفراد أسرتها وبخاصة الشريك ، وهذا ما يؤكده "طه عبد العظيم حسين" في كتابه "سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي بقوله:" تشير الدراسات إلى أنّ عددا كبيرا من الثقافات تتقبل العنف ضدّ المرأة وتساهم في استمراره وخاصة المجتمعات التي يسود فيها النظام الأبوي ، حيث تعطي هذه الثقافات الرجل الحق في الهيمنة على زوجته ... فهي تعطي الرجل الحق في معاقبة زوجته إذا عصت أمره أو خالفت رأيه".[2]

وكثيرا ما يعامل العنف ضدّ المرأة خاصة على أنّه من الأمور الأسرية الشخصية التي لا يجوز التدخل فيها ولا يجوز التحدث عنها والبوح بها وهذا ما يتبناه و يؤمن به المجتمع العربي، على الرّغم من أنّ الشرع لم يأمر بضرب النساء ولكن أباحه، ويشترط الشرع أن يكون الضرب غير مبرح ويكون الضرب في غير الوجه، ولقد جعله مرحلة ثالثة بعد الوعظ والهجر في الفراش ، أي بعد أن تفشل كل الطرق في إصلاحها وردّها إلى الصواب. قال تعالى:﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ [النساء: 34]

[1]–ينظر: سهيلة زين العابدين ، العنف ضدّ المرأة ، صحيفة المدينة السعودية ، مارس 2013.

[2]–طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي، ص 33.

وقديما كانت المرأة معززة ، كان العرب أشدّ حبّا لها وتعلقا بها ، وهذا ما أكدّه "عرفان محمد حمّور" في كتابه " المرأة والجمال والحب في لغة العرب" الذي يرى أنّ هذا الإعزاز مع ما قد يكلف المرأة العربية من التكاليف الاجتماعية هو أكرم لها وأكثر تشريفا من الحرمة التي زعمت حضارة الغرب أنّها منحتها للمرأة.[1]

ولكن مؤخرا بدأت" الحركة النسوية العالمية تؤكد على أهمية ربط قضايا حقوق المرأة بقضايا حقوق الإنسان، واعتبار العنف ضدّها انتهاكا صارخا لحقوقها الأساسية"[1]، غير أنّ في كل حالة من حالات العنف التي مورست ضدّها نجد عنفا أساسيا يقوم على إنكار حقها في أن تكون لها حقوقا أصلا .

يستخلص من هذه التعاريف: أنّ العنف له أثر سلبي على الأشخاص وعلى الأشياء نظرا للضرر الذي يلحقه بهم، لأنّه دائما يستعمل القوة والتهديد سواء المادي أو اللفظي وذلك للسيطرة عليهم وسلبهم حرياتهم وخاصة المرأة. هذه الأخيرة التي تشعر بعدم القيمة وأحيانا تحاول التغلب على هذه الإساءة من خلال انحرافها عن الصواب والطريق الصحيح وهذا ما نجده في رواية " زقاق المدق لنجيب محفوظ " . وأحيانا وفي بعض الحالات نتيجة الإساءة المتكررة قد تحاول المرأة قتل زوجها المسيء لها وهذا ما حدث في رواية " ما تبقى لكم لغسان كنفاني" .

وإذا كان للعنف جانب سلبي لا ينفي هذا أنّ له جوانب إيجابية و عواقب حميدة كإبعاد الضرر عن الآخرين في حالة الخطر إذا لم تنفع وسائل أخرى كالحوار مثلا، فيكون حسب الغاية التي استعمل من أجلها والهدف المرجو الوصول إليه.

---

[1]–ينظر: عرفان محمد حمّور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان : 2006 ، ص193 و194.

2 ـ طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي ، ص37 .

وفي بحثي هذا سلطت الضوء على المرأة التي تجعل من هذا العنف دافعا لتخطي أوضاعها والمضيّ إلى الأمام، لا التي تتأثر بشكل سلبي فتنحرف .

كما ركزت على العنف ضدّ المرأة ومدى التأثر السلبي لهذه الأخيرة بالعنف الذي مورس ضدّها بأشكاله المتعددة والمتنوعة. ومنه فما هي أشكال العنف الممارس ضدّ المرأة؟

المبحث الثاني: أشكال العنف الممارس ضدّ المرأة

يتضمن العنف ضدّ المرأة أشكالا عديدة يندرج تحتها عددا كبيرا ومتنوعا من الأفعال التي تبدأ من فعل بسيط لتنتهي بالقضاء على حياة المرأة، ومن أهمها: العنف الجسدي والجنسي والنفسي والاقتصادي والتربوي والاجتماعي ويغذي كل منهما الآخر.

1-العنف الجسدي:

يعرفه" طه عبد العظيم حسين" في كتابه "سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي" – لكنه يستعمل لفظ الإساءة مرادفا للفظة العنف – على أنّه " أيّ سلوك جسمي يعرض المرأة للخطر وعدم الأمان الجسمي، وهي تعني – أي الإساءة الجسمية- استخدام القوة الجسمية ضدّ المرأة بطريقة تؤدي إلى إلحاق الضرر والأذى الجسمي بها".[1]

ويشمل العنف الجسدي الضرب والركل ، والحرق والقذف بالأشياء على المرأة والصفع واللكم والجلد، وشدّ الشعر والخنق ، والتهديد والاعتداء عليها بالسلاح مثل: السكين أو التكبيل بالقيود والدفع على الأرض، وترك الضحية في مكان خطير وغير آمن، ورفض مساعدة الضحية – المرأة- عندما تكون مريضة أو تعاني من الأذى.

فالعنف الجسدي هو أكثر أشكال العنف وضوحا وممارسة حيث تستخدم الأيدي أو الأرجل أو أية أداة من شأنها ترك آثار واضحة على جسد المعتدى عليها ألا وهي المرأة "وما يترتب عليه من المظاهر التالية: كالكدمات والحروق والجروح وكسر العظام وتمزق الأنسجة والإجهاض"[2].

إذا العنف الجسدي الممارس ضدّ المرأة يأخذ صورا مختلفة، وأبشع صورة له هي القتل. لكنّ نتائجه السلبية التي تعاني منها المرأة تدفعها أحيانا إلى إيذاء نفسها كالانتحار أو سلوك طريق مجهول وغيرها، وأحيانا أخرى تصل إلى درجة القتل كأن تقتل المرأة زوجها نتيجة بشاعة العنف الممارس ضدّها.

---

[1]– طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي ، ص 42.

[2]–محمد الحاج يحي ، العنف ضدّ النساء في المجتمع الفلسطيني ، ص 45.

يقول "عباس أبو شامة عبد المحمود" في كتابه "جرائم العنف و أساليب مواجهتها في الدول العربية" :" إنّ النساء اللاتي قتلن أزواجهن بسبب الإيذاء البدني ، كان لهنّ تاريخ طويل من العنف ليس فقط مع الزوج ولكن غالبا مع الآباء في طفولتهن ، إنّ المرأة تلجأ للقتل تحت ضغط القهر والظلم الاجتماعي والثقافي نتيجة لقهر الزوج وتسلطه"[1].

2-العنف الجنسي:

اعتمد **الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني(2011)** تعريفا للعنف الجنسي، حيث يرى أنّه فعل إجرامي يتم من خلاله استخدام السلوك الجنسي لتنفيذ الاعتداء الجنسي بالقوة رغم إرادة الطرف الآخر، ويمارس العنف الجنسي عن طريق التحرش الجنسي والاغتصاب وعرض أفلام إباحية والتقاط صور فاضحة وإجبّار المرأة على العمل في الزنا وهتك العرض، وأحيانا تستخدم أساليب مؤذية وعنيفة.[2]

ومن خلال هذا التعريف يستنتج أنّ أشكال العنف الجنسي هي ثلاث: التحرش الجنسي والاغتصاب والإساءة الجنسية كسلوك.

إذا العنف الجنسي يتمثل في إجبار المرأة على أن تتصرف جنسيا ضدّ رغباتها وإجبارها على الاشتراك في أنشطة جنسية لا تريدها، تقلل من قيمتها وتحط من قدرها. فضلا عن المضايقات الجنسية والاستغلال الجنسي والختان وإجبار المرأة على الجماع وممارسته بالقوة و يسمى الاغتصاب الزوجي:" وكذلك معاملة الزوجة فقط كموضوع جنسي والاغتصاب يحدث داخل وخارج إطار العلاقة الزوجية، حيث يشكل الجنس وإذا كان عنيفا ودون رغبة الزوجة اغتصابا"[3].

---

[1]-عباس أبو شامة عبد المحمود، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية ، ط1، مركز الدراسات و البحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية :2012، ص 65.

[2]-محمد الحاج يحي ، العنف ضد النساء في المجتمع الفلسطيني، ص 47.

[3]- المرجع نفسه ، ص 46.

و هناك أشكال أخرى كإجبارها على الدعارة والخلاعة والإيذاء الجسمي للمرأة خلال الجنس وغيرها .

ويعتبر الختان أخطر شكل من أشكال العنف الجنسي حيث تتعرض له البنات في الطفولة فغالبا ما يؤدي إلى تشوهات دائمة تؤثر على صحة المرأة ونفسيتها وسعادتها الزوجية، ويعرضها لأخطار جسيمة كالعقم والتهابات الجهاز التناسلي، وأحيانا يؤدي إلى الموت[1].

ومع ذلك فهو ظاهرة مستمرة تمارسها بعض الشعوب ضدّ المرأة (البنت الصغيرة) وترجع أسباب استمرار ختان الإناث إلى الاعتقاد الخاطئ بأنّها دينية ، فالدين يحثّ على الختان ولكن في حالات فقط كالشذوذ ، العادات والتقاليد كذلك تساهم في استمرارها كاعتقاد بعض الشعوب بأنّ الختان يساعد على طهارة الفتاة ويحافظ على عذريتها.

في بداية التعريف بأشكال العنف الممارس ضدّ المرأة عموما قلت أنّ الأشكال تغذي كل منهما الآخر، وهذا ما يحدث للشكلين المذكورين سابقا، فغالبا "ما تكون الإساءة الجنسية مرتبطة بالإساءة الجسمية وتحدث معا أو أن الإساءة الجنسية ربما تحدث بعد الإساءة الجسمية".[2]

3_العنف النفسي:

هو التهديد اللفظي وغير اللفظي بالعنف ضدّ المرأة من قبل الرجل يرى عزاز سامي في مقال له تحت عنوان العنف الأسري أضراره و مخاطره و نتائجه و حلوله أنّ:" العنف اللفظي هو عبارة عن كل ما يؤذي مشاعر الضحية من شتم وسب أو أيّ

[1]- ينظر: طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي، ص50.

[2]- المرجع نفسه ، ص 49/ نبيل راغب ، موسوعة الفكر الأدبي، ص 284.

كلام يحمل التجريح أو وصف الضحية بصفات مزرية، مما يشعرها بالإهانة والانتقاص من قدرها".[1]

إذا العنف اللفظي شكل من أشكال العنف النفسي وغالبا ما تكون المرأة ضحيته، أمّا أدواته فهي مفردات في اللغة كالقذف والشتم ، و الغاية منه هو الإساءة و السخرية من المرأة و الحط من إنسانيتها.

والعنف النفسي كما قيل سابقا يتضمن العنف اللفظي والعنف غير اللفظي؛ العنف اللفظي يكون صريحا ويعبر عنه من خلال ثورات الغضب، أمّا غير اللفظي فيكون ضمني يتضمن التعليقات الخبيثة – إن صح التعبير – ضدّ المرأة . ومن أمثلة العنف اللفظي الصريح اللوم والتوبيخ، أما العنف غير اللفظي أو الضمنّي فهو عدوان خفي يهدف إلى التحكم في المرأة الضحية دون معرفتها.

والعنف النفسي يمكن تصنيفه في عدة أنواع وصور مختلفة هي:

- نبذ ورفض الاعتراف بوجود المرأة ورفض التواصل معها وتجاهل مشاعرها.
- النقد الدائم والتهديد بالأذى أو القتل وجعل المرأة ترى أطفالها وهم يساء إليهم ولا يسمح لها بالتدخل.
- التقليل من شأنها ويتمثل ذلك في الاهانة والسخرية والتحقير وإطلاق أسماء مستهجنة على المرأة ، وتوجيه اللوم والتوبيخ لكل شيء تفعله وتريده لأنّها غير قادرة على تحمل المسؤولية والتقليل من الهوية والكرامة وإحراجها في الأماكن العامة.
- الترويع والترهيب ويتضمن إثارة الرعب والفزع والخوف الشديد لدى المرأة والتخويف والإكراه بالتهديد مثل: إجبار الأطفال على مشاهدة العنف تجاه أمهاتهم في الأسرة، والتهديد بترك المنزل وبتحطيم ممتلكاتها الشخصية.

[1]– عزاز سامي، العنف الأسري أضراره ومخاطره ونتائجه وحلوله، منتديات سودانيز أونلاين، الرياض: 2008/23/03.

وهناك شكل جديد من التهديد يستخدم في العنف النفسي وهو التهديدات التي يتم التعبير عنها من خلال الانترنت والتي يطلق عليها « cyber stalking » ويعرف بالمطاردة "والتي تتضمن مضايقات وتهديدات يقوم المعتدي تجاه المرأة عبر استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات".[1]

قلت سابقا أنّ العنف النفسي أو الانفعالي أو المعنوي مقترن بالإساءة أو العنف الجسمي عادة ويستخدم العنف النفسي بمفرده كطريقة لتحقيق التحكم والسيطرة على المرأة الضحية وتأثيره أقوى من العنف الجسمي على المرأة.

وإذا كان العنف الجسمي هو إيذاء لجسم المرأة وأبشع صورة له هو القتل ، فإنّ العنف النفسي هو إيذاء لنفسية المرأة وأبشع صوره له هو قتل روحها وتحطيم كيانها، ودخولها في عالم مجهول إما أن تحارب نفسها من أجل تحقيق ذاتها وإما أن تستسلم.

و هذا ما أكدّه "طه عبد العظيم حسين" في كتابه "العنف العائلي و المدرسي" متحدثا عن الآثار السلبية الناتجة عن هذا العنف بقوله :" تعاني كثيرا من المشكلات النفسية كالقلق والاكتئاب والكوابيس وتقدير الذات المنخفض ".[2]

هذا بالنسبة للعنف النفسي، فماذا عن العنف الاقتصادي ؟ .

4-العنف الاقتصادي:

يتمثل العنف الاقتصادي حسب رأي طه عبد العظيم حسين في منع المرأة من العمل والتحكم في اختياراتها المهنية وأخذ أموالها الخاصة التي تكون قد حصلت عليها بالميراث وعدم إعطائها معلومات عن دخل الأسرة إلى جانب حجب مصروف المنزل عنها ، والاستيلاء على المصادر الاقتصادية للضحية مثل: أخذ أموالها واستغلال

[1]- طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي ، ص47.

[2]-المرجع نفسه ، ص 53.

ثرواتها في تحقيق الأهداف الشخصية وحجب الموارد والإمكانات المادية عن الضحية مثل الطعام والملابس والعلاج ومنعها من تحقيق الاستقلال المادي.[1]

إذا العنف الاقتصادي هو ممارسة الضغوطات على المرأة كمنعها من العمل أو إجبارها على القيام به ، و يتضمن كذلك السيطرة على أملاكها وحقها في الإرث والسيطرة كذلك على أملاكها نقودا وعدم إشراكها في مشاريع الأسرة.

هذا فيما يخص العنف الاقتصادي الذي يتمحور حول المادة وسلب ممتلكات المرأة فتصبح ضحية من طرف الرجل.

5-العنف الاجتماعي:

هو فرض مجموعة من القيم والأفكار تحد من حرية المرأة وكرامتها، فالمجتمع يمنح للرجل امتيازات للتعامل مع المرأة بدونية.

ومن أنواع العنف الاجتماعي:[2]

1-النظرة إلى المطلقة ومنعها من الخروج من المنزل.

2-فرض الولي على المرأة أمور تقرير مصيرها مثل: الزواج أو الطلاق أو التعليم.

3-فرض عادات وتقاليد يمارسها المجتمع على المرأة لضمان طاعتها وخضوعها للثقافة الذكورية.

ومن أهم صور العنف الاجتماعي الزواج المبكر أي زواج البنات القاصرات دون السن القانوني للزواج وحرمانها من مواصلة تعليمها وجعلها تتحمل مسؤولية خدمة الزوج ورعاية الأطفال ، و هذا يؤثر سلبا على صحتها ويؤثر في نمو أطفالها وتربيتهم ويجعلها غير قادرة على اتخاذ أي قرار مصيري في حياتها لتنظيم الأسرة.

1_ ينظر: طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي الأسري ، ص51.

2- المرجع نفسه ، ص51 .

وكذلك حرمان المرأة من اختيار شريك حياتها حيث يقوم الآباء باختيار شريك حياتها دون أن تبدي رأيها في ذلك، وتنتشر هذه الظاهرة في المناطق الريفية النائية.

والأسرة المسلمة يمكن ضمان قوتها واستقرارها في بضعة مبادئ منها:[1]

1ــ للرجل الحق في اختيار الزوجة ، وللمرأة الحق في اختيار الزوج.

2ــ على الرجل والمرأة أن يتشاورا مع بعض فيما يخص حياتهما العائلية.

وهذا العنف له نتائج نفسية على الفتاة إذ تشعر بالإحباط نتيجة عدم قدرتها على القيام بأعبائها وعدم إشباع حاجياتها النفسية خاصة عندما يكون الزوج أكبر منها بكثير في السّن مما يجعل هذه الزيجات تنتهي بالفشل والطلاق.

6-العنف التربوي أو التعليمي:

يتمثل في التمييز بين الجنسين في الفرص التعليمية، حيث يعتقد الكثير من أولياء الأمور أنّ تعليم الذكور أهم من تعليم الإناث، ولهذا يكتفون بإلحاق البنات بالمدارس القريبة منهم، ولا يشجعونها على متابعة الدراسة بحجة أنّ مصيرها في النهاية المنزل.

ففي بعض المناطق الريفية قد يرفض الآباء تعليم الإناث لأنّ ذلك يؤدي إلى تفتحهن وفساد أخلاقهن حسب رأيهم ، لذلك تعدّ نسبة الأمية في الدول العربية مرتفعة وهذا ما أكدّه "طه عبد العظيم حسين" في كتابه "سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي": " وعلى الرغم من التحسن الذي طرأ على تعليم الفتاة في الدول العربية إلاّ أنّ نسبة الأمية بين الإناث في أغلب الدول العربية مرتفعة مقارنة بالذكور".[2]

وهذا ينعكس سلبا على مستوى ثقتها بنفسها ، وعلى صحتها وصحة أسرتها في المستقبل.

---

[1]-لويزا شايدولينا ، المرأة العربية والعصر، ترجمة: شوكت يوسف، ط1 ، سلسلة الأفكار دار الجيل/ دار دمشق للنشر والتوزيع في الأقطار العربية ، بيروت ، ص 150.

[2]- طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي الأسري ، ص 52.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ أشكال العنف متعددة ومتجددة حيث برع الرجال في تنويعها وممارستها، وكنّ نحن النساء ضحية لها وله. لذلك لا يمكننا أن نحصر أشكال العنف في هذه الأشكال المذكورة سابقا فهي متجددة على الدوام .

هذا فيما يخص أشكال العنف الممارسة ضدّ المرأة، والآن سأقوم بدراسة ظاهر العنف من الناحية الأدبية بإعطاء نماذج عن العنف الممارس ضد المرأة في الرواية العربية الحديثة.

المبحث الثالث: ظاهرة العنف الممارس ضدّ المرأة في الرواية العربية الحديثة

إنّ ظاهرة العنف ظاهرة بشعة لم يستطع الإنسان التخلص منها رغم التقدم والتطور الحاصل، عرفها الإنسان منذ الأزل فمارسها وموورست عليه.و إذا كانّ التاريخ يؤرخ للعنف، فإنّ الأدب لم يكن في منأى عن معالجة ظاهرة العنف وفق رؤية تخالف رؤية المحلل الاجتماعي و السياسي أو عالم النفس.

ظهر العنف في النصوص الأدبية عند العرب قديما في الشعر من خلال أغراض الحماسة والبطولة ، حيث يظهر الآخر كعدو يجب هزيمته والتنكيل به" لعل الشعر العربي كان حافلا بهذه التيمة – ظاهرة العنف– لما كان من صراع قبلي عنيف متجذر في الحياة الاجتماعية العربية".[1]

وقبل ذلك تؤرخ لنا الإلياذة والأوديسة و غيرها من النصوص القديمة لهذا النوع من الصراع ؛ صراع الإنسان مع الإنسان أو الطبيعة مع الإنسان ، هذا الصراع الذي يأخذ شكل العنف في التعامل مع الآخر. فهما يمثلان الصيغة الأدبية لمحاولة فهم الوجود وتفسيره، وهما انعكاس لمعطيات واقعية. و هذا ما يؤكده أرنست فيشر بقوله : "كل أدب هو واقعي بالضرورة"[2] .

والعنف في النصوص القديمة كان تعبيرا عن أسلوب الحياة وفلسفتها في ذلك الوقت، فكانت هذه النصوص سببا في تلطخ التاريخ الإنساني حسب بعض الكتاب ، و"نبيل راغب" في كتابه "موسوعة الفكر الأدبي" يؤكد ذلك في قوله:" والمشكلة التي حيرت الأدباء فيما يتصل بالعنف أنه لطخ التاريخ الإنساني بسيل من الدماء والمعاناة والآلام".[3]

---

[1]–عبد الحميد بوخاس ، مؤتمر ظاهرة العنف في اللسان والأدب ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ، ميلة– الجزائر: يومي 16و17 نوفمبر 2013.

[2]–نعيم شريف ، العنف في الأدب الإنساني ولغتنا الدائمة ، مجلة تشرين ، العدد 63 ، الجزائر: 2001 .

[3]–نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي ، ص 284.

إذا العنف في النصوص القديمة كان موضوعا أساسيا لها ، وهذا ما يؤكده هذا القول :" الكتب العظيمة تكاد تكون وليدة هذه الظاهرة ابتداء من هوميروس وملاحم وادي الرافدين وغيرها".[1]

لقد كان حظ الرواية أوفر من حظ الشعر في تناول هذه الظاهرة ، حيث جاءت الكثير من النصوص السردية تجسيدا لهذا الموضوع كرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي السوداني الطيب صالح ، ورواية "شرق المتوسط" لعبدا لله منيف ... وغيرها من الأعمال الأدبية التي تناولت العنف كموضوع لنصوصها السردية. وقد كانت ظاهرة العنف وراء شهرة الكثير من الأعمال الأدبية العربية كـــ:" رواية عزازيل" ليوسف زيدان، وأعمال واسيني الأعرج الروائية، و"رواية بلغراد" لحنا يعقوب.

وبما أنّ العنف أصبح موضوعا مهما في الأدب، فقد بحث هذا الأخير في جذوره النفسية التاريخية واللغوية، وتطرق لأشكاله المتعددة كالعنف ضدّ الطبيعة والعنف بين الطوائف ضدّ المرأة وغيرها، كلها كانت موضوعات للأدب في العالم.[2]
وفي بحثي هذا سأركز على الأعمال الأدبية التي تناولت العنف كموضوع لنصوصها السردية، والتي تناولت على وجه الخصوص ذلك العنف الأزلي الذي لحق بالمرأة بشتى ألوانه وانعكاساته المادية والمعنوية، فلطالما كانت ضحية القهر الاجتماعي وظلم الرجل .

كما حاولت التركيز أكثر على الأعمال السردية النسوية – من الرواية الذكورية– التي تتخذ من مناهضة العنف الذكوري والاضطهاد الاجتماعي مادة أساسية لها، من منطلق أنّ المرأة حين تتحدث عن الموضوعات الخاصة بها ، أقدر من غيرها على تصويرها لكونها ترى الأشياء من منظور مختلف" تعدّ الكتابة العربية النسائية ، وبالذات القصة والرواية والسيرة الذاتية الأدبية تعبيرا عن رغبة المرأة العربية في ...

[1]–ورد الحمام ، ظاهرة العنف والتطرف، منتدى البحوث العلمية والأدبية والخطابات والسير الذاتية، 2010/09/21.

[2]–عبد الحميد بوخاس ، مؤتمر ظاهرة العنف في اللسان والأدب.

دعوة الآخرين للحوار حولها وعن سعيها للتغيير الاجتماعي، كما تهدف إلى مخاطبة الآخر المتمثل في القرّاء المؤيدين لنضال المرأة في مجتمعاتها.[1]

تعرض المتون الروائية التي سأدرسها لمجموعة من فئات النساء اللاتي كان نصيبهنّ العنف بصوره المتعددة من الضرب والشتم والإهانة والاغتصاب وحتى القتل. وأول متن روائي يتطرق للعنف الواقع على المرأة هو نص:" رواية أنثى العنكبوت" لـــ:"قماشة العليان" وفي هذه الرواية تظهر لنا شخصية الأب الظالم عبد الرحمان محمد صالح بصفته شخصية عنيفة، يمارس العنف على زوجتيه وبناته الأربع و كل من له صلة بعائلته .

وهذا ما أكدّه "حسين مناصرة" في كتابه " قراءات في المنظور السردي النسوي" بقوله:" إنّ عنف الزوج/ الأب في هذه الرواية يعد نموذجا تخيليا إشكاليا في سياق العنف داخل الأسرة ، بحيث يكون الرجل ظالما جائرا ، يمارس العنف بأساليب فجائعية أوصلت بعض أفراد أسرته إلى الجنون والانتحار وردات الفعل العنيفة"[2].

وهذه الرواية تعرض لنا ستة حالات من حالات العنف:

الحالة الأولى: تحكي عن" زوجته الأولى" أم بناته وأبنائه التي عانت في حياتها، فمارس عليها زوجها أشكال متنوعة من العنف كانت نتيجته أن أفقدها صوابها وأدخلها إلى المصحة النفسية، وها هي أحلام ابنتها بطلة الرواية تحكي عن معاناة أمها ومدى تحملها للظلم الجائر من طرف أبيها:" أهانك وسحقك ... ضربك حتى أدماك ، ظلمك نهبك ، أبكاك ، ثم ابتدأ السلب ... سلبك نقودك ومجوهراتك، ثم سلبك حقوقك وأحلامك وانتهى بأن سلبك عقلك حتى جننت على يديه".[3]

---

[1]–إياد ع .نصار، الرواية النسائية العربية إشكاليات التمرد والوعي ونظرة الآخر، صحيفة الرأي الأردنية في الملحق الثقافي ، 2010/1/22.

[2]–حسين مناصرة ، قراءات في المنظور السردي النسوي ، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت : 2003، ص 16.

[3]–قماشة العليان، أنثى العنكبوت، ط3، شركة رشاد برس، بيروت: 2002، ص 169.

وبذلك تلقت هذه الأم ضرباته الموجعة بصمت واستسلام تامين، فهو يضربها دوما و إضافة إلى الضرب المبرح على جسدها لا يترك كلمة من الكلمات البذيئة إلاّ وأطلقها عليها، و هو بذلك يتعدى العنف الجسدي إلى العنف النفسي الذي يعتبر أكثر تأثيرا على نفسية المرأة .

الحالة الثانية: تتمثل في " زوجته الثانية" المدللة التي لم تنج هي الأخرى من الضرب الشيطاني، بل من الطلاق ذاته ، تقول أحلام:" فوجئت بالمنظر الرهيب أمامي ... أبي يضرب زوجته بكل عنف وقسوة وأولادها متعلقون بها ... هي تصرخ وهم يبكون".[1] هذا هو الرجل المتسلط الذي تكون المرأة ضحية تصرفاته و عقليته المتشددة .

الحالة الثالثة: هذا ما فعله ببناته الأربع ومن بينهن " ندى ". هذه الأخيرة التي انتحرت في المصحة النفسية بعد ما كان يضربها بعنف . ومن أمثلة ذلك هذه الحالة العنيفة التي يمارس فيها الأب المتسلط الصراخ على ابنته، كما قام بضربها تقول أحلام:" صرخ بها ... ثم صفعها بقوة لتزداد صراخا وهياجا، ليزداد ضربا لها وركلا حتى كادت تموت بين يديه، وهو يصرخ ستفضحنا بين الجيران "[2].

في هذه الرواية نجده –الأب– قد مارس صورا مختلفة من صور و أشكال العنف الجسدي كالضرب والركل، ولحقه كذلك العنف النفسي من خلال هذا المقطع الذي بيّن عدم اهتمام الوالد بابنته، بل نجده يسعى إلى موتها.

الحالة الرابعة: تتمثل هذه الحالة في" شخصية بدرية" التي عاقبها أبوها من الزواج إثر وفاة زوجها الذي أجبرها أبوها في السابق على أن تتزوجه، هذا الزوج السكير العربيد الذي دأب على ضربها طوال حياتها ، و حينما أرادت أن تطلب الطلاق

[1]– قماشة العليان ، أنثى العنكبوت ، ص 59.

[2]– المرجع نفسه ، ص 22 و 23 .

زوجها قال لها أبوها:" ليس عندنا مطلقات في العائلة ولن تكون ... ستعيشين مع زوجك وتتحملين معه كل الصعوبات ثم تموتين معه"[1].

الحالة الخامسة: و هي" سعاد" التي زوجها أبوها برجل كبير في السنّ ، بعد أن أخرجها من المدرسة عنوة ، ثم عاقبها بهذا الزواج لأنّها تكره زوجته الثانية فلم تكن سعاد تدري بأنّ هذا الخلاف الدائم مع زوجته سيؤدي بها إلى القتل البطيء المتعمد مع طرف هذا الأب المتسلط الجائر في إطلاق أحكامه على فلذات كبده ، و لم يحس بما تعانيه ابنته ، فكانت سعاد كغيرها ضحية للعنف الممارس عليها من طرف أبيها الإصرّار .

الحالة السادسة: تتمثل في "أحلام" بطلة الرواية التي زوجها أبوها من الشيخ السبعيني تاجر الغيار، هذا الرجل هو زوج لامرأتين وأب لخمسة عشر ولدا وبنتا. هو العاجز المنكسر في فراش زوجته أحلام، ولأنّه كذلك يهيل عليها بالصفعات ليخفي عجزه الجنسي .

وكان نتيجة هذا العنف هي قتلها لزوجها الذي انهال عليها بالصفعات والركلات حيث تقول:" ازداد جنونه وهو يرى تمردي وجسارتي، فأمعن في ضربي، ولم أشعر إلاّ ويداي تمتدان إلى عصاه الغليظة الملقاة على الأرض وأهوي بها على رأسه ... ليتهاوى إلى جواري فاقدا الوعي ... وفاقدا الحياة كذلك "[2].

وقيام أحلام بهذا التصرف يصبح قتلها لهذا الزوج معادلا لقتل الأب الظالم الذي دمّر حياة ابنته أحلام بطلة رواية "أنثى العنكبوت" و بقية أخواتها لا لشيء سوى أنّهم بنات.

كما نجد العنف في "رواية نساء المنكر" لـــ:"سمر المقرن"، فعنوان هذه الرواية يجسد الموقف العنيف تجاه المرأة، كما تجسد هذه الرواية نظرة التيارات الإسلامية

---

[1]– قماشة العليان ، أنثى العنكبوت ، ص 13.

2– المرجع نفسه ، ص195.

المتشددة للمرأة :" التي ترى من المرأة سوى جارية لهم ، تقد لهم الطعام والمتعة مع التغييب الكامل لعقلها ".[1]

وفي هذه الرواية تصور بطلتها حالة اعتقالها من طرف هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أحد المطاعم العائلية بالرياض على النحو الآتي:" يجرني من عباءتي ، رأيتهم يلقون برئيف في مؤخرة سيارتهم الصالون ، فزعت من هذا المشهد وصرخت ... فهوى بيده على وجهي حتى شعرت بأنّي فقدت البصر".[2]

كما نجدها تتعرض لحالات عديدة من الضرب وفي طريقها إلى مركز الهيئة لقيت سارة العديد من الهجمات مست جميع جسدها، وفي المحصلة يكون حكم "سارة" – في الأخير– ثلاث سنوات سجن مقابل ثلاثة أشهر سجن لرئيف ، وهذا يؤكد وجود العنف في الأحكام تجاه المرأة قياسا على أحكام الرجال. و ذلك من منظور أن خطيئة المرأة أكبر بكثير من خطيئة الرجل في المستوى الخطأ .

و في "رواية سقر" لـــ :"عائشة عبد العزيز الحشر" التي تحكي عن شخصية نسوية رئيسية تتمثل في" مها" التي تعاني من العنف الاجتماعي .هذا الأخير كان سببا في حرمانها الزواج من الرجل الذي أحبته. كانت مها طالبة متميزة في دراستها، ميزها ذكاؤها واتساع أفقها وميزها جمالها .

لكن هذه المميزات لم تؤهلها كي تقرر أمر زواجها من عبد الله الذي تقدم لخطبتها ووافقت عليه ، إلاّ أنّ مشكلة عبد الله الوحيدة تكمن في اسمه الرباعي الغريب عبد الله عبد الواحد مراد شوكت ، هذا الاسم الذي يجعله غير مكافئ في النسب لأسرة مها وقبيلتها من منظور مجتمعها. فقيل لها:" أنت بنت قبائل ، لها نسبها وأصولها ... كيف تريدين الزواج بمن لا يناسب أهلك وناسك؟"[3].

---

[1]– سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 70.

[2]–سمر المقرن ، نساء المنكر، ط، دار الساقي ، بيروت :2008 ، ص 41.

[3]–عائشة عبد العزيز الحشر، سقر ، ط، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت : 2008، ص 143.

وكان أثر هذا العنف النفسي واضحا من خلال شعورها العميق بأنّها شخصية مستلبة في مجتمعها، مجتمع غدت الأنوثة فيه لعنّة أبدية تقول:" لمجرد أن تولد الطفلة أنثى، فقد جاءت أوزارها معها ... وزرها هو أنّها لم تكن ذكرا".[1]

ولمّا أصرّت "مها" على الزواج من عبد الله كان الضرب والركل جوابا لها، فكانت مها كبش فداء للعادات والتقاليد.

وكذلك نجد العنف في" رواية حكاية زهرة " للكاتبة اللبنانية "حنان الشيخ" ، هذه الرواية تنقسم إلى زمنين وطبيعتين:[2]

قبل الحرب حيث "زهرة الجنوبية" في معاناتها الذاتية والأسرية وصولا إلى سفرها عند خالتها في إفريقيا وزواجها هناك من ماجد، والزمن الثاني؛ هو الزمن الذي عاشته زهرة في بيروت الحرب بعد انطلاقها، وتكاد الرواية بصفحاتها التي تقارب إلى 250 صفحة أن تنقسم بين هذين الزمنين.

في هذه الرواية تروي "زهرة" طفولتها المعذبة في كنف والد ظالم وأم تخون زوجها تحت أنظار الفتاة الصغيرة، ومعاملة عائلية منحازة إلى الصبي أحمد. و هذا ما جعلها تشعر كلما نظرت إلى الخلف بالخيبة و الأسف بحقد أكبر على أمها، هذه الأم التي تخترع الحيل متذرعة باصطحاب طفلتها لكي تواعد عشيقها غير عابئة بأثر هذه اللقاءات على نفسية ابنتها التي مازالت طفلة .

كما تصور لنا "زهرة" مشهد الأب الغاضب الثائر المعتدي على زوجته أمام مرأى ومسمع من الابنة:" ورأيتها مرمية على الأرض ، وأبي ببذلته الكاكية وبجسده الممتلئ وفي يده حزامه الجلدي ينهال عليها "[3]. هذا العنف الأسري له آثار وعواقب

---

[1]– عائشة عبد العزيز الحشر، سقر ، ص 66.

[2]–نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن: 2004، ص 239 و240/ وليم الخازن وآخرون، الأدب النسائي العربي،ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت–لبنان: 2008، ص 70 و71.

[3]–حنان الشيخ ، حكاية زهرة ، ط2 ، دار الآداب ، بيروت : 1989 ، ص 18.

وخيمة على نفسية الأطفال ، والدليل على ذلك أنّ "زهرة" مع كبرها ونضوجها لاتزال هذه المواقف راسخة في ذهنها.

ومن القضايا الاجتماعية التي تناولتها هذه الرواية و التي تمثل جانبا من العنف الاجتماعي هي التمييز بين البنت والصبي، تقول "زهرة":" اللّحمة، البيض لأحمد... إنّها لا تطعمني الدجاج ولا اللّحمة، إنّها تخبئها دائما لأحمد وأحيانا لوالدي"[1]. وهذا مثال التربية المنحازة إلى الرجل.

كما عانت "زهرة" من العنف الجنسي بعد خداعها من طرف "مالك" ، هذا الأخير الذي أغراها بالكلام المعسول لينال ما يريده:" لم أحبّه ، لم أطقه ، لكنّي كنت مخدرة، أعتقد أنّه كان يكتب لي الأحجية عند السحرة والمشعوذين".[2]

و قد استغل مالك "زهرة" فلم يرى فيها غير الجسد الذي سعى بكل الطرق للحصول عليه بخداعها و إسماعها الكلام المعسول، كان ذكيا لدرجة أنّها لم تعرف كيف رضخت له و منحته ما أراد.

وكان أثر هذا العنف جليا في حياتها المستقبلية، حيث فقدت "زهرة" ثقتها بنفسها ودخلت في أزمات نفسية استطاعت بصعوبة الخروج منها.

كما نجد العنف في" رواية الطوق والأسورة " لـــ :"يحي الطاهر عبد الله " واضحا عانت منه الكثير من النساء.

يرى "حامد أبو أحمد " في كتابه " مسيرة الرواية في مصر" أنّ هذه الرواية تأخذ عنوان تراجيديا الفقر والقهر لأنّه الموضوع الأساسي في الرواية.[3]

رواية "الطوق و الأسورة" رواية مأساة تمثل أنموذجا للعنف الممارس ضدّ المرأة بأشكاله المتنوعة ونذكر منها: العنف الجسدي الذي مارسه الخال مصطفى على

---

[1]–حنان الشيخ ، حكاية زهرة ، ص 14.

[2]–المرجع نفسه ، ص 133.

[3]–حامد أبو أحمد، مسيرة الرواية في مصر قراءة لنماذج مختارة ، د. ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر: 2000، ص 03.

ابنه أخته (فهيمة) التي تدعى "نبوية". هذه الأخيرة التي حملت سفاحا(ابنا غير شرعي) حيث أخفت بطنها المنتفخة عن جدتها وخالها، كانت تتوجع بالأنات المكتومة لأنّ الصرخات العالية قد تسمعها الجدة لكن سرعان ما علم مصطفى خالها بالخبر :" فيجرجر نبوية، ويشبعها رفسا بقدميه حتى يحفر حفرة، ويلقي فيها نبوية ويهيل عليها التراب حتى العنق ، ثم يتركها هكذا بلا طعام ولا ماء حتى تموت أو تبوح بمن فعل بها هذا"[1]. وتبلغ المأساة ذروتها عندما يأتي السعيدي ابن عمة نبوية والذي كان يكنّ في نفسه حبّا لها " فيدخل عليها وهي على هذا الحال ويحصد عنقها، ثم يحمل الرأس المقطوع إلى مصطفى الذي لم يتحمل قسوة الموقف فيصاب بالشلل".[2]

كما عانت "فهيمة أم نبوية" من العنف الاجتماعي والجنسي ، من خلال زواجها بالحداد الجبالي العاجز جنسيا والمصاب بعقد نفسية ، نتيجة لهذا العجز قام بتطليقها وهي حامل في شهرها الرابع .

في هذه الرواية كان العنف بشعا وأبشع صورة له هو قتل نبوية وفصل رأسها عن جسدها انتقاما للشرف.

وآخر نموذج من النماذج التي تناولت العنف الممارس ضدّ المرأة هو "رواية غرفة المصادفة الأرضية " لـــ :"مجيد طوبيا" من خلال كتاب " رمزية المرأة في الرواية العربية" لجورج طرابيشي. هذه الرواية تحكي قصة ذكور ثلاثة يريدون "مهجة" مهما غلا الثمن عارية ومهجة ليس العري ما تخشاه، إنما كل نفورها من نظرة معينة إلى العريّ.

[1]–يحي الطاهر عبد الله ، الطوق والأسورة ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 1975، ص 143.

2- المرجع نفسه ، ص140

العريّ بوصفه فعل امتلاك واقتناء، و العريّ الذي تتحول فيه المرأة من ذات له إلى موضوع . ولهذا و بالتحديد فرت "مهجة" من عريسها وهي في ثوب زفافها الأبيض ، وفي ليلة عرسها بالذات:

"– ما الذي جعلك تهربين من زفافك؟

- نظرة من العريس ".[1]

تلك النظرة هي التي جعلتها تهرب ؛ كان هذا الرجل كلما أعجبته قطعة أثاث أو قماش تلتمع في عينيه نظرة راغبة يهتف بعدها سأشتري هذه ، ومهجة في ليلة زفافها رأت في عينيه نفس النّظرة.

في هذه الرواية الرجال يرون فيها "مهجة" الجسد فقط ويريدون استغلاله بأيّ طريقة وهذا ما يمثله العنف الجنسي، ويظهر هذا العنف جليا في مناقشتها مع هذا الرجل في أمور سياسية كان يوافقها الرأي دائما لأنّه يركز على شيء آخر:" عندما بدأت تتكلم تذكرت أن شكل شفتيها عند حديثها الحماسي يكون بديعا ... وكل أوضاع الشفتين عند مخارج الألفاظ الحامية، وصرت لا أقدر إبعاد نظراتي عن فمها"[2].

وغيرها من الأحداث التي تبرز موقف الذكور من ضعف النساء جنسيا، تهمش المرأة وعواطفها ولا ينظر إلاّ للجسد على أنّه جسد قابل لتحقيق الرغبات الذكورية، وهذا كله يندرج ضمن العنف الجنسي.

هذه عينة بسيطة من صور العنف التي تعرضت لها المرأة من قبل الأب والزوج والخال و من العادات والتقاليد، فعرضت أمثلة للعنف الواقع عليها ومن خلالها أبرزت الأثر السلبي للعنف على حياة المرأة ، "فأحلام" نتيجة الاضطهاد قتلت زوجها، و" نبوية" قتلت بأبشع الطرق فعانت جدتها "حزينة" من مواقفها ومواقف أبناءها

[1]- جورج طرابيشي ، رمزية المرأة في الرواية العربية و دراسات أخرى، د.ط ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت : د.ت، ص 53 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 54 .

الآخرين، ورضّخت "مها" لرغبة أبيها وعادات قبيلتها بعدم الزواج ممن تحب ، وتأكدت " سارة" من أنّ الرجل هو السيّد والمرأة مجرد عبده له ، و"زهرة " التي أثرّ فيها العنف الذي مورس عليها منذ صغرها على مستقبلها فعانت كثيرا لتحقيق ذاتها.

في هذا الفصل أعطيت مفهوما للعنف ، وسلطت الضوء على العنف الممارس ضدّ المرأة من خلال التطرق إلى أشكاله المتنوعة ، و دراسة الآثار السلبية المترتبة عليه في نفسية المرأة الضحية من خلال النصوص السردية أو الأعمال الروائية العربية الحديثة هذا فيما يخص الفصل الأول .

أمّا الفصل الثاني سأدرس فيه صورة المرأة في الرواية العربية عموما و الفلسطينية على وجه الخصوص.

الفصل الثاني

صورة المرأة العربية الفلسطينية في الرواية العربية الحديثة

المبحث الأول: صورة المرأة في الرواية العربية

المبحث الثاني: المرأة الفلسطينية بين الواقع و الطموح

المبحث الثالث : صورة المرأة في الرواية الفلسطينية

لقد تحولت الكتابة الروائية العربية في نهاية القرن التاسع عشر من الاهتمام بطبقة النبلاء إلى الالتفات للطبقات الشعبية ومن أهمها المرأة و ذلك تحت تأثير متغيرات اجتماعية :" فمع تقدم الطبقة البرجوازية إلى زمام القيادة في المجتمع، تقدمت أيضا مثلّها و مبادئها الاجتماعية ، فتطور تكوين الأسرة من الطراز الأبوي ...وظهرت المرأة بعد الظهور... لقد كان الحب خطيئة ، فوجد من يدافع عنه "[1].

فبرزت المرأة في الأحداث الروائية بل احتلت موقع الصدارة لعناوين بعض الروايات مثل : زنوبيا، بدور، و أسماء و سامية و كلّها لسليم البستاني.

وبعدها اجتازت المرأة عدّة مراحل في الأعمال الروائية كانت محط اهتمام الروائيين في البدايات الأولى كرواية "زينب" لمحمد حسين هيكل فجاءت المرأة مضطهدة ضعيفة ، و بعدها برزت المرأة الجديدة و مثلتها روايات عيسى عبيد و طاهر لاشين "حواء بلا آدم" و بعد هذه المرحلة التي تعدّ أكثر نضجا مقارنة بالمرحلة الأولى ، ظهرت الرواية النسائية التي تناولت موضوع المرأة من زاوية استعادة الذات المفتقدة و الدفاع عن حقوق و آراء المرأة عموما و مثلتها روائيات أهمهنّ الروائية الفلسطينية المتميزة بأعمالها الروائية النسائية الرائعة "سحر خليفة ".

وفي هذا الفصل سأتناول صورة المرأة العربية و صورة المرأة الفلسطينية وسأقدم نماذج من الروايات الذكورية و الروايات النسائية من منظور معرفة:

ما مدى تغيير النظرة للمرأة في روايات الكتاب العرب الحديثة ؟ و ماذا فعلت المرأة لصالح قضيتها أو شيئا يدعم مطالبها ؟ وهل فرضت المرأة صورة جديدة على سرد الرجل؟

[1]– أحمد اليبوي ، في الرواية العربية التكوّن و الانشغال ، ط1، شركة النشر و التوزيع المدارس ، الدار البيضاء : 2000، ص131.

المبحث الأول : صورة المرأة في الرواية العربية :

كما قلت سابقا إنّ بدايات الرواية العربية كانت تأخذ اسمها من المرأة ، كرواية زينب لهيكل وهي مؤسسة للرواية العربية وما تلاها من أعمال روائية كثيرة ، ففي الكثير منها كانت تعكس معاناة المرأة و الخوض في إشكالياتها داخل المجتمع الذكوري.

لذلك عادة ما نجد الرواية العربية تركز على الصورة النمطية للمرأة ؛ فهي المرأة المقهورة السلبية ، و هي التابعة المتلقية ، و المقموعة الخاضعة لهيمنة الرجل . وبهذا لم تخرج المرأة عن هذه الصورة إلاّ في حالات محددة " و لعل الرواية العربية الحديثة لعبت دورا في إظهار المرأة العربية بصورة مغايرة "[1] . فقد أصبحت المرأة فيها إنسانة و ليست مجرد جسد ينظر إليها بشهوة ورغبة ، بل أصبحت الأم والمناضلة و العاملة.

و بشكل عام كانت ولا تزال صورة المرأة في الرواية العربية تعتمد على خلفية الروائي ووعيه و ثقافته البيئية التي خرج منها و تأثر بها ، فهو إنسان يتأثر بما يحيط به و بما يعيشه . فمن الروائيين من تأتي في أعمالهم السردية الأنثى مهمشة ضعيفة و متفوقة في مواصفاتها الجسدية ،و منهم من أعطى لها صورة إيجابية.

و في بحثي هذا سأقدم نموذجا للروائي المصري نجيب محفوظ ،و قبل ذلك أودّ أن أشير إلى نقطة تعدد الصور في الرواية العربية ، لذلك نجد تصنيف النماذج النسوية (صورة المرأة) مفتوح لا نهاية له . ففي الرواية الواحدة توجد أنماط متفاوتة لصور النساء.

و قد اعتمدت في هذه الدراسة تصنيف نماذج نسوية من منظور الرواية المدروسة لا على أساس تصنيفات جاهزة مرسومة في الرواية العربية.

[1]– أحمد اليبوري ، في الرواية العربية التكوّن و الانشغال ، ص131.

وأول نموذج سأدرسه هو " رواية ميرا مار" لنجيب محفوظ ، هذا الأخير الذي جاءت المرأة في رواياته تحمل صورتان : الأولى صورة سلبية كرواية" زقاق المدق" وفيها الانحراف الأخلاقي ، والصورة الثانية إيجابية وفيها تكون المرأة كائن إيجابي يحمل حساباته الشخصية ويمضي لتحقيقها ، والمرأة في "رواية ميرامار" لنجيب محفوظ تصنف في صورة :

1 ــ المرأة الانتقالية الإيجابية.:

والمرأة الانتقالية هي الرافضة لكل تسلط من طرف الرجل ، رافضة البقاء داخل جدران أربعة تقيد حريتها ، إنّها تثور على وضعها كأنثى لا تبقى مستسلمة تابعة للرجل تحب ما تشاء لا ما يشاء المجتمع[1].

تتمثل هذه المرأة في شخصية "زهرة" التي تعدّ قطب الرحى الذي تتجاذب نحوه شخصيات "رواية ميرامار" ، فهي الفتاة الريفية التي تناضل من أجل أن تحيا حياة كريمة ، رفضت أن يستغلها الرجال كما سعت إلى تغيير مسار حياتها من فتاة بسيطة، جاءت لتعمل كخادمة في بنسيون إلى امرأة قوية تمتلك زمام أمورها من خلال التعليم.

"زهرة" في هذه الرواية ثائرة على التقاليد البالية وعلى وضعها كأنثى مستلبة حقوقها، وذلك من خلال هروبها من بلدتها بسبب إرغامها على الزواج من طرف الجد القاسي المتزمت " لقد هربت أراد جدها أن يزوجها من عجوز مثله لتخدمه"[2].

كما بدت "زهرة" في هذه الرواية صانعة قراراتها وصاحبة أمر نفسها، وكان أول قراراتها أن عزمت وهي المرأة، أن تزرع أرضا بنفسها لما أراد زوج أختها أن يأكلها.

---

[1]– صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر، بسكرة–الجزائر: 2009، ص56.

[2]– نجيب محفوظ ، ميرامار، ط1، دار مصر للطباعة و النشر، القاهرة : 1967 ، ص40.

استأجرت نصف فدان من الأرض وزرعته بنفسها ، كما تولت بنفسها تسويق نتاجه هذا ما قاله جورج طرابيشي في دراسته لرمزية زهرة.[1]

كما مثلت "زهرة" صورة المرأة المحافظة على شرفها و كرامتها وسط جمع من الرجال حاولوا النيل من ذلك الجسد الجميل ، فرفضت زهرة أن تكون مجرد جسد حينما دعاها طلبة مرزوق إلى حجرته لتدلكه ، نهرته و شهرت به و لم يخفها منصبه و مركزه فهو مالك أطيان سابق و هي خادمة في بنسيون .

فحينما اكتشفت أنّ سرحان البحيري غدرّ بها و أنّه هو الآخر أراد منها الجسد بصقت في وجهه مرة أولى و ثانية، ثم :"انقضت عليّ ــ كما يقول سرحان ــ و لطمتني على وجهي بقوة مذهلة .انتترت واقفا و قد جنّ جنوني ، قبضت على يدها بقسوة و لكنها انتزعتها بعنف و لطمتني للمرة الثانية . فقدت وعيّ فأنهلت عليها ضربا و صفعا، و هي تبادلني بقوة فاقت تصوري "[2] .

و مع كل ما جرى لها تعلن "زهرة" عن قرارها في الاستمرار على نفس الدّرب نحو الكرامة و العمل الشريف متسلحة بالعلم ، فقد ساعدتها صاحبة البنسيون في التعلم، و هذا الموقف لم يعجب أحدا من سكان البنسيون ، فمنهم سرحان البحيري الذي استهزأ بها ، و كأنّ التعلم و جد من أجل طبقة معينة أو للرجال فقط .

و ترى فوزية لعشماوي في مقال لها عن المرأة في أدب نجيب محفوظ أنّ زهرة تستحق أن تكون رمزا لمصر أولا: لأنّ نجيب محفوظ جعلها محور الأحداث ، و ثانيا : لأنه رسمها ثائرة ، ثارت عدة مرات ضدّ من حاولوا استغلالها بعد وفاة أبيها و ضدّ من أرادوا الاستفادة من ورائها من الأجانب ، و العجوز الأرستقراطي (طلبة

[1]– جورج طرابيشي ، رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى ، ص121.

[2]– نجيب محفوظ ، ميرا مار ، ص255 .

مرزوق) ، كما أنّ مجمل الخطوات التي خطتها زهرة في مسارها الروائي موازي لتلك التي خطتها مصر[1].

و في نهاية الدراسة لهذه الرواية، يمكن القول بأنّ نجيب محفوظ أعطى صورة إيجابية للمرأة المقاتلة المكافحة ضدّ كافة أشكال الاستغلال الجسدي و الفكري الذي تعرض له.

أما صورة المرأة عند "ليلى الأطرش" فمتعددة بتعدد رواياتها، و سأدرس لها "رواية امرأة للفصول الخمسة" التي تمثل صورة النمطية العاجزة و الضحية.

2 ــ صورة المرأة النمطية :

و المقصود بالمرأة النمطية هو امتثالها لتقاليد الاجتماعية و الاستسلام لها و لسلطة المجتمع ، بالمقابل التنكر للرغبات و العواطف و القناعات الشخصية إن وجدت.

و يعرفها "صالح مفقودة" في كتابه "المرأة في الرواية الجزائرية" بقوله : "إنّها ابنة المجتمع الأبوي المتمثلة لموروثه والصادرة عنه، القانعة بقيمه والمحافظة على مثله حتى لو عانت منه، إنّه كالقدر الذي يكون مدمرا لا سبيل لسرده أو الثورة عليه"[2]. إنّه التقليد والتربية الصارمة التي ترسم للمرأة طريقها الذي لا ينبغي أن تحيدّ عنه، وبذلك تبقى دونية المرأة وتبعيتها وقصورها أبرز الصفات اللازمة للفتاة النمطية و"نادية الفقيه" تمثل المرأة التي تكون امتداد لزوجها فتنفى عن نفسها إنسانيتها وتفقد أمامه شخصيتها.

رأت " نادية الفقيه " الزواج من إحسان الناطور فرصة لتحقيق السعادة والحب في حياتها ، كانت فتاة تريد الزواج مثلما تريد الحب وإحسان هو الذي استعدى لمنحها الاثنين معا فقبلت به لكن سرعان ما اكتشفت غير ذلك فهو يظل مشغولا عنها بالبحث

[1]– فوزية العشماوي ، المرأة في أدب نجيب محفوظ ، منتدى الكتاب العرب ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة : 2013 ، ص05 .

[2]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 48 .

عن الثروة، و لم يعر" لنادية " أي اهتمام في حياته تقول نادية:" لكنّه أسقطني من حسابات لعبته فجأة "[1]. وفي هذا المقطع تبدو نادية الفقيه امرأة تابعة لرغبات زوجها نافية ذاتها وهوايتها التي كانت تؤمن بها وتحبها وهذا كله إرضاء لزوجها ولمجتمعها بأن تكون زوجة صالحة ، تقول: " نادية الفقيه ذات اللغة الضعيفة المترددة بكل ما هو ذاتي، ومبتذل من العطور ... إلى الثياب ... تبرع في أحاديث الموضة والفساتين بعد أن أفلحت يد إحسان الناطور في تشكيلها على النمط الذي يريده، وبعد أن صرفها عن القراءة – وهي إحدى هواياتها السابقة – إلى هويات جديدة "[2].

" نادية" كانت ترفض هذا النمط الذي يتبعه زوجها في حياته إلاّ أنّها لا تستطيع أن تضع حدا لتهوره ، لذلك وجدت نفسها كما يقول "إبراهيم خليل" في كتابه" الرواية النسوية العربية " تحاول أن تكون ندّا لإحسان ، تحاول أن تبلغ الذروة بوقوفها على كتفيه هذا بعد أن اكتشفت تفاهته ،واكتشفت أن وصية المرأة الأعرابية لابنتها لا تصلح أن تكون شعارا لها في حياتها الزوجية[3].

إذا " نادية الفقيه" قد شرعت ثورتها ضدّ وضعها، فبدأت تطالبه بما يطيق وما لا يطيق من ذهب وعقار في عواصم بعيدة ، لكنها كانت يائسة تفتقد ذاتها أو تبحث عن ذاتها ، تقول : " صار إحسان بعيدا عني حتى وهو معي ... وأنا ألهث في دروب...أبحث عن ذات أردتها ، حلمت بها وشكلّتها "[4] .أرادت "نادية" أن تحقق ذاتها لكنّها لم تستطع فقد بقيت تابعة لزوجها و أوامره .

---

[1]– ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت : 1990 ، ص58.

[2]– المرجع نفسه ، ص 24و25 .

[3]– إبراهيم خليل ، في الرواية النسوية العربية ، ط1 ، دار الورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان: 2007، ص10.

[4]– المرجع السابق، ص163.

قال "إبراهيم الخليل" عن المرأة في رواية "امرأة للفصول الخمسة" أنّها: "نموذجا للمرأة التي وصفتها "كاتي مللت" بالضحية العاجزة، لقد حاولت أن تبحث عن ذاتها لكنها أخطأت الطريق ، أو ربما صادفتها عثرات كبرى لم تستطيع التغلب عليها ..."[1].

إذا المرأة في هذه الرواية هي نموذج المرأة العاجزة، النمطية التابعة التي كيفت نفسها حسب ما تقتضيه رغبة الزوج كأن لا قيمة لها بدون رضى زوجها.

وفي "رواية النار والاختبار" لـــ : "خناثة بنونة" تظهر لنا صورة المرأة العربية المثقفة التي تمثلتها ليلى.

3 ــ صورة المرأة المثقفة: الواعية، المؤمنة بقضية تعيش من أجلها بهدف الوصول إليها، امرأة مساهمة في مجتمعها من خلال العمل الذي تقوم به وهذا ما نجده في هذه الرواية متمثلة في ليلى. هذه الأخيرة تحكي رواية النار والاختبار قصتها؛ فهي امرأة دفعتها كارثة حزيران إلى إعادة النظر لكل حياتها وسماتها وممارستها لأنّها تجد نفسها مسئولة عن الهزيمة، وعليها من موقعها كمذيعة تلفزيونية أن تسهم في اختيار وسيلة لتجاوزها، وذلك كجزء من فعل عام.

وبعد هذه الهزيمة تحولت حياة ليلى إلى نار وتملكها إحساس فاجع وعميق بأنّها كانّت في عملها تمارس التزييف والتضليل لذلك تحمّل نفسها الهزيمة، فتركت العمل لمدة كي تفكر، لكنّ ليلى واجهت قضية أخرى شخصية وهي أن تحسم الخيار بالزواج فأسرتها تلحّ عليها وهي تؤجل ذلك ولا تعرف الإجابة: " نعم مثيله نادر، ولقد أدركت ليلى ذلك في السابق، حينما كادت أن توافق، لكن وضعيتها القلقة تجعلها لا تثبت في الأمر ولولا ذلك لضغطنا عليها " [2].

[1]– إبراهيم خليل، في الرواية النسوية العربية ، ص12.

[2]– المرجع نفسه ، ص12.

كانت ليلى تؤمن" أن الهزيمة في فلسطين سببها جملة الأوضاع السلبية الخاطئة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج" [1]. وعليها من موقعها وفي شروط إمكاناتها كامرأة في المغرب أن تجد نقطة البداية لعمل يراكم إيجابيا عملا يتواصل بعده، ودون أن يسقط الإنسان في اليأس والإحباط.

وبعد حيرة وقلق طويلين استطاعت ليلى أن تمسك نهائيا بخيوط اللحظة والغد وكتبت رسالة طويلة إلى خطيبها لطفي مقررة الاتجاه نحو التعليم: " هذا اليوم سأراجع الأمر رسميا لألتحق بمعهد الطلاب الذي عينت فيه... التدريس سيمنح لشعوري بالمسؤولية نوعا من الاطمئنان، فعلى الكراسي بواكير طرية يجب إنقاذها في التيه الذي يعاني منه إنساننا العربي"[2]. وبهذا تظهر لنا المرأة الواعية المؤمنة بطريقها الذي تسلكه بقضيتها التي تعيش من أجلها، فقررت أن تبدأ مع طلابها في تعلم الأبجدية العربية الجديدة بعيدا عن التزييف، وبعيدا عن النفاق الاجتماعي الذي يستدرجها إلى المؤسسة الزوجية.

وكنموذج أخير سأدرس صورة المتزوجة في "رواية أنثى العنكبوت" لـــ : "قماشة العليان" والتي درستها في الفصل الأول كنموذج لظاهرة العنف ضدّ المرأة ، لذا لا داعي أن أعطي ملخصا عنها بل سأدرس صورة المرأة في هذه الرواية.

4ـ صورة المتزوجة: المجتمع العربي دائما مستعجل في أمر تزويج المرأة، فهو يعتبر بلوغها يبدأ مبكرا، فسّن العاشرة أو التاسعة كاف لأن تزف المرأة إلى زوجها في المجتمعات العربية الريفية غير المتعلمة بصورة خاصة: " تزوج الفتاة قبل سن البلوغ لأنّها تعتبر عورة يجب سترها بأسرع فرصة ممكنة ، وحتى لا يفوتها قطار الزواج، فتصبح عانسا تجلب العار لأسرتها ، وتصبح عبئا على والدتها وأخواتها" [3].

---

[1]– نزيه أبو نضال ، تمرد الأنثى ، ص 204.

[2]– المرجع نفسه ، ص 205.

[3]– صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 68.

ويتسم الزواج المبكر بعدم استشارة الفتاة في أمر زواجها، فالأمر موكل للرجل.هذا الأخير الذي يراعي مصلحته بالدرجة الأولى ، وهذا ما نجده في رواية "أنثى العنكبوت" حينما قرر الأب المتسلط تزويج ابنته "أحلام" من الرجل السبعيني أو بالأحرى الشيخ السبعيني المتزوج بامرأتين ، وأب لخمسة عشر ولدا وبنتا بسبب المال والطمع تقول أحلام على لسان أبيها : " سيدفع زوجك المقبل مهرا كبيرا ، اتفقت معه عليه، سأعطيك جزءا منه والجزء المتبقي من حقي ، فقد ربيتك ورعيتك ولم أبخل عليك بأي شيء أردته"[1]. هنا تظهر لنا شخصية "أحلام" الفتاة المسلوبة من حقها الأساسي و هو اختيار الزوج، فالأب فعل هنا ما رآه صوابا ولم يكترث لعواطف ابنته.

وليست "أحلام" وحدها من تعاني من هذا الأمر في هذه الرواية، بل هناك أختها سعاد الذي زوجها أبوها دون رغبتها، فحرمها من الدراسة عنوة:" زفت سعاد لرجل في سن والدها يملك المال، وقلب المتحجرة وحفنة من الأولاد"[2]. سعاد هي ضحية الزواج المبكر و ضحية العقلية المتحجرة التي لا تؤمن باستقلالية المرأة ، و حريتها الذاتية في اختيار مستقبلها.

إذا هذه الصور تمثل جزءا من نماذج نسائية في الرواية العربية المتعددة وأعطيت هذه النماذج حسب الرواية المدروسة ، ففي الرواية العربية تتعدد الصور حسب نظرة كل روائي ،لا توجد صورا مضبوطة معترف بها تمثل المرأة العربية عامة ، و المبحث الثالث سأخصصه للمرأة الفلسطينية التي تعتبر جزء لا يتجزأ من المرأة العربية.

[1]– قماشة العليان ، أنثى العنكبوت ، ص 170.

[2]– صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 111.

المبحث الثاني: المرأة الفلسطينية بين الواقع والطموح:

لقد أصبح موضوع المرأة ركنا أساسيا في الحياة العامة لكافة المجتمعات ومجالا مهما للبحث والتطوير، فالمرأة نصف المجتمع وحرمان هذا الأخير من طاقاتها تبديد لغرض التنمية في كافة مجالات الحياة ولقد برز دور المرأة جليا من خلال الدراسات والمؤتمرات لأنّها كما يقول "عبد الحميد بوزوينة " في كتابه " نظرية الأدب في ضوء الإسلام" ـــ قسم الأدب والمرأة ـــ : " إنّها سلاح ذو حدين ، فهي قد تكون حاملة مشعل النهضة الكبرى ، ودافعة عجلة التاريخ نحو الرقي والسؤدد ، وتكون شبحا مخيفا ونارا متأججة لا تبقى ولا تذر"[1].

والمرأة الفلسطينية التي تشكل نصف المجتمع الفلسطيني تقريبا (45.5%) عانت ولا تزال تعاني من اضطهاد مزدوج : قومي وجنسي؛ قومي ففي كل يوم تعاني من العنف الذي يسببه الاحتلال الإسرائيلي لها ولأبناء شعبها، ومن مظاهر المعانات فقدانها لحريتها في التنقل الداخلي والعمل والسفر، وجنسي يتمثل في الاضطهاد الذي تتعرض له من طرف الأسرة. هذه الأخيرة التي تمارس ضدّها أنواعا متعددة من العنف، يقوم على التميز بين الجنسين يقول " إصلاح جاد وآخرون" في كتاب " النسوية العربية رؤية نقدية" : " لقد فرضت حركة حماس في غزة على النسوة المحاميات تغطية رؤوسهن ... استمرت في ممارسة سياسة التضييق على الحريات الشخصية والقيام بحملات لفرض قيود أخلاقية في شوارع غزة وشواطئها"[2].

وبالرّغم من واقع العنصري الذي غاشته المرأة الفلسطينية ، إلاّ أنّها واصلت مسيرتها وحياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية مقارنة مع مت كانت عليه في القرون السابقة كما قدمت المرأة الفلسطينية كمثيلاتها من النساء العربيات روحها

---

[1]– عبد الحميد بوزونية ، نظرية الأدب في ضوء الإسلام القسم الثاني الأدب والمرأة ، ط1 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان– الأردن: 1990، ص05.

[2]– إصلاح جاد وآخرون ، النسوية العربية رؤية نقدية ، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت:2012 ، ص 231 و 232.

دفاعا عن القضية الوطنية وهي نيل الحرية والعيش في كنف الاستقلال حيث قادت المسيرات الحاشدة ضدّ الاحتلال الإنجليزي وشاركت في الثورة كالممرضة والمناضلة والشهيدة، يقول حسان رشاد الشامي في كتابه المرأة في الرواية الفلسطينية : " شاركت المرأة الفلسطينية في الثورات والانتفاضات الوطنية قبل عام 1948 ، إلاّ أنّ دورها كان مقصورا على تقديم حلاها وذهبها لشراء السلاح وأدوار أخرى ثانوية ، كنقل المعلومات البسيطة أو إخفاء المجاهدين"[1] . ثم أخذ هذا الدور ينمو بفعل الظروف التي عاشتها المرأة بعد النكبة إلى أن انطلقت حركة التحرير الوطني عام1965، وفيها انخرطت المرأة في صفوفها ومارست دورها النضالي على جميع المستويات .

وقد قال الشيخ ياسين عن المرأة الفلسطينية في مجال المقاومة الوطنية:" لقد دخلنا مرحلة تاريخية جديدة تقبل فيها النسوة الفلسطينيات بالقتال والاستشهاد كما يفعل الرجل والشبان "[2]. وبعدها تأسست بعض الحركات النسوية التي ساهمت في دعم الثورة بالتحريض وتزويد الثوار بالأسلحة والتمويل .

أما بالنسبة إلى المشاركة السياسية، فقد سجلت أعلى تمثيل للنساء في الهيئات المحلية في عام 2006، حيث وصلت نسبة تمثيل النساء في غزة 17%، في حين فازت ست نساء من غزة من مجموع 17 امرأة في عضوية المجلس التشريع 2007. وفي أعلى نسبة تمثيل وزاري منذ نشوء السلطة الوطنية الفلسطينية وصلت ثلاثة نساء لمنصب وزير، حين شكلت النساء 15 % من الوظائف الحكومية العليا،كما بلغ تمثيل النساء في سلك القضاء 9 % من مجموع القضاة .[3]

---

[1]– حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية 1965–1985، د.ط ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، بيروت :1998 ، ص96 .

[2]– إصلاح جاد وآخرون ، النسوية العربية رؤية نقدية ، ص240 .

[3]– منظمة المرأة العربية ، دراسة مسحية للمشروعات المخصصة للمرأة العربية في المجالات الاجتماعية ، فلسطين: أيول 2009 ، ص15. www.**arabwomen**org.org

كما خطت المرأة الفلسطينية بعد النكبة الأولى عام 1947- 1948خطوات واسعة في مجال العلم ، وأنفتح أمامها مجال العمل على مداه الواسع ، ففي مطلع الستينات أخذت تبرز ظاهرة جديدة وملحوظة حول إقبال المرأة الفلسطينية على العمل بحماس ورغبة منطقية النظير، فقد تضاعف عدد المنتسبات للجامعات" وأصبحت ظاهرة افتتاح المشاغل ودور تعليم الحروف، ومحو الأمية ظاهرة عامة في أماكن تجمعات الفلسطينيين... إلى جانب نشاطها المرموق في السياسة حتى في الكفاح المسلح"[1].

هذه هي المرأة الفلسطينية التي حولت المخيم إلى رافد ثوري للوطن والقضية، والتي جعلت الشيوخ والأطفال يتسابقون نحو الحرية والكرامة ، وهي بهذه التجربة الفريدة عدت أنموذجا وقدوة يحتذي به في كل أنحاء العالم سواء في النضال ضد أشكال القهر والظلم أو في الصمود والحفاظ على الهوية الوطنية .

لذا كان شعارها الأرض قضيتها ولا قضية لها إلاّ الأرض ، فقد كانت واعية بقضيتها وبأنّها لن تستطيع تحقيق طموحاتها والمطالبة بحقوقها في بلد مسلوب الحرية.

[1]- حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 91 و 92.

المبحث الثالث: صورة المرأة في الرواية الفلسطينية.

لعبت المرأة الفلسطينية دورا كبيرا إلى جانب الرجل منذ بداية القضية الفلسطينية، وسطّرت بثباتها وصمودها صفحات مشرقة من الصمود والتحدي ظلت محفورة في ذاكرة الشعب الفلسطيني[1].

وقد وقف الروائيون الفلسطينيون مواقف متباينة في أعمالهم السردية من المرأة فهي في نظرهم الأم الصابرة والزوجة الصالحة ، والأخت الفاضلة و هناك من أعطى لها دورا آخر في رواياته فجاءت طالبة وموظف عاملة جنبا إلى جنب مع الرجل وتشترك معه في مقاومة الاحتلال الصهيوني وطرده ، إلى جانب دورها الأول في تربية الأبناء وإعدادهم للدفاع عن الأم الرءوم فلسطين.

لذا نجد لشخصية المرأة في الرواية الفلسطينية صورا ونماذج مختلفة، فهي الأم والأخت والحبيبة، والطالبة والمثقفة، والمريضة... إلى غير ذلك.

وفي بحثي هذا سأقتصر في دراسة لنماذج المرأة في الرواية الفلسطينية على أربعة صور، اعتمدها "حسان رشاد الشامي" في كتابه "المرأة في الرواية الفلسطينية" وهي كالتالي :

أولا : صورة المرأة التقليدية.

ثانيا : صورة المرأة البغي والمومس كما تسمى في بعض الكتب.

ثالثا : صورة المرأة الثورية أو المناضلة.

رابعا : صورة المرأة المثقفة.

[1]– ينظر: حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص74.

أولا: صورة المرأة التقليدية.

المرأة التقليدية هي المنسجمة غالبا مع واقعها والمستسلمة لظروفها. تفكيرها بسيط ووعيها عفوي ومحدود، اهتماماتها بسيطة تبدو قدرية إلى حد بعيد خاضعة بصورة شبه كلّية للعادات والتقاليد[1].

وهناك نموذجين للمرأة التقليدية: نموذج المرأة التقليدية الإيجابية ونموذج المرأة التقليدية السلبية، هذا النموذج الأخير نجده متمثلا في شخصية صفية في رواية" عائد إلى حيفا" لـــ :"غسان كنفاني".

تعتبر رواية" عائد إلى حيفا" واحدة من أكثر الروايات إثارة لمسألة النزوح و مآسيها، والرواية:" تقع أحداثها بعد حرب حزيران عام ألف تسعمائة وسبعة وستين... وهنا بدأت العائلات الفلسطينية التي نزحت إلى الضفة تعدّ العدّة لزيارة بيوتها، التي أجبروها على مغادرتها، وزيارة من بقي لهم من أقارب هناك"[2]. ومن جملة هذه العائلات عائلة سعيد وهو معلم فلسطيني وزوجته صفية.

"صفية" هي المرأة الفلسطينية، هي الزوجة الصغيرة التي لا تستطيع أن تدبر أمرها، وهي الريفية التي لم تتعود أن تعيش المدينة الكبيرة وكانت ترى فيها تعقيد كبيرا فتقول: "ذلك التعقيد الذي كان راعيا لها، وغير قابل للحل".[3]

تزوجت "صفية" من سعيد قبل الحرب بقليل، وحين حدثت الحرب كان لها ابنا يسمى خلدون. ويوم الحرب بالذات بلغ الشهر الخامس من عمره، تبدأ الحرب وتبقى بانتظار زوجها الذي لم يعد وتنطلق للبحث عنه ، تاركتا ابنها في المنزل وكانت هذه اللحظة الأخيرة التي ترى فيها ابنها في ذلك الوقت.

---

[1]– حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 137 .

[2]– سمير حمادة ، غسان كنفاني ، ثنائية الخروج والعودة رواية عائد إلى حيفا أنموذجا، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 495 ، دمشق ، 2012 ، ص 181.

[3]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة : الروايات " عائد إلى حيفا" ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 1972 ، المجلد الأول ، ص349.

في هذه الرواية تظهر لنا صورة الأم المفجوعة بفقدان ولدها، تعيش إحساسا بالذنب لتركها ابنها الصغير، كانت حائرة على زوجها: " كانت تفكر به عندما جاءت أصوات الحرب من وسط المدينة حيث تعرف أنّه هناك. وكانت تشعر أنّها أكثر أمنا، فالتزمت البيت فترة وحين طال غيابه، هرعت إلى طريق دون أن تدري على وجه التحديد ما الذي كانت تريده"[1].وفي ظل التزاحم نجدها تتذكر ابنها وطفلها الموجود في السرير " كم مضى من الوقت قبل أن تتذكر أن خلدون الطفل مازال في سريره في الحليصا؟"[2] ولكنها رددت كلمة خلدون ألف مرة .

"صفية" هنا هي الأم البسيطة التي لم تبذل جهدا في السؤال عن ابنها سواء عن طريق الصليب الأحمر أو بعض الأصدقاء ، إلاّ أن كل هذه الحقائق لم تخفف من إحساسها بمسؤوليتها عن الفاجعة التي أصابتها ، لذلك عاشت عشرين سنة تتعذب عذابا كبيرا عذابا " ينتصب عملاقا لا يصدق في أحشائها ورأسها وقلبها وذاكرتها وتصوراتها، ويهيمن على كل مستقبلها "[3]. وقد عاشت هذا العذاب معها في كل لقمة أكلتها وفي كل كوخ عاشت فيه كل هذا العذاب عاشته في سرها و في صمتها، أمّا في الظاهر فكانت تتظاهر أو تتجاهل الأمر وهنا تظهر شخصية الأم المقهورة المشتاقة لولدها والزوجة المطيعة لزوجها و عاداتها وتقاليدها ، فلم تبحث عن ابنها وحدها أو تناضل من أجل ذلك فاستسلمت لأراء زوجها وواجباتها وقبلت بشكل ما أن ينادي ابنها بـــ:" هو" ، لأنه ميت في نظرهم " ساذجة هذه الأم المحكومة بشعورها الخاص كأم تفكر عن جريمتها بقدرية غبية ، لا نفع لها في هذا الأمر ولا تملك دوما إلاّ البكاء والانتظار"[3].

---

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة : الروايات "عائد إلى حيفا" ، ص353.

[2]– المرجع نفسه ، ص 345.

[3]– أمل العلامة وآخرون ، الأم في روايات غسان كتفاني ، د. ط ، مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي سعير، الخليل : 1998 ، ص19.

لكنها تفيق من غفوة دامت عشرين سنة ، و تطلب من زوجها أن تذهب إلى حيفا لترى بيتها ، وعند ذهابها لبيتها وجدت أن ابنها خلدون حيّ يرزق ربته امرأة يهودية وأصبح اسمه "دوف".

إنّ عاطفة الأمومة التي سيطرت على صفية جعلتها تؤمن ب:" أنّ ابنها سيختار أبويه الحقيقيين ... لا يمكن أن يتنكر لنداء الدم واللحم"[1]. ولكنها تفجع بآمالها عند لقاء ابنها الذي ينكرها، ينكر علاقة الدم واللحم.

هكذا تفجع الأم بأعز أمانيها، هي امرأة بسيطة عاشت حياتها منتظرة هذه اللحظة مؤمنة بتفكير بسيط ساذج، لم تحاول أن تناضل للبحث عن ابنها غير أنّها عانت عشرين عاما شوقا وحزنا على فراق طفلها.

ثانيا: صورة المرأة البغي أو المومس الفاضلة[2]:

عانت المرأة الفلسطينية من جرّاء الاحتلال الكثير من حالات القهر والظلم النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولكنها بقيت صامدة محافظة على شرفها وكرامتها وعفتها مؤثرة الصبر والتقشف على السقوط في مستنقع الرذيلة " وهذا ما أوضحته معظم الروايات منذ النكبة إلى يومنا هذا ، لكنّنا لانعدام وجود بعض الشخصيات المنحرفة التي انغمست في الرذيلة، تحت وطأة الظروف الاجتماعية ، والاقتصادية و النفسية الصعبة"[3].

و"خضرة" في "رواية عبّاد الشمس" خير دليل على وجود مثل هذا النموذج في الرواية الفلسطينية مع احتمال وجود قليل من هذه النماذج لأنّ الرواية الفلسطينية وبطابع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تركز على المرأة القوية المناضلة و

[1]– أمل العلامة وآخرون ، الأم في روايات غسان كتفاني ، ص384.

[2]– المومس : هي التي تقدم جسدها في حال الحصول على المقابل ، ينظر : يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، د.ط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، بيروت : 1999 ، ص 41 و 42.

[3]– حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 129.

الثورية التي تحارب من أجل تحرير قضيتها ، و قضيتها الأسمى هي قضية فلسطين ونيل الحرية.

إذا "خضرة" في رواية" عبّاد الشمس" هي تلك المرأة التي تعاني شتى الظروف الفقر والتشرد والحرمان والذل، مما دفعها إلى السرقة بداية لتلبية شهوات بطنها ومن ثمّ انغمست في الرذيلة، لأنّها لم تجد وسيلة للعيش إلاّ ببيع جسدها وشرفها لتلبي الحاجة الملحّة إلى الدواء لمعالجة زوجها الكهل الذي هدّه المرض.

لم تعان "خضرة" في كبرها فقط بل عانت في طفولتها أيضا ، عاشت طفولة بائسة مشردة بعد فقدان الأرض والأم ، وأب جاهل ظالم لا يرحم وزوج متقدم في السنّ بيعت له فأساء معاملتها وكرهته واحتقرته ثم هربت من بيته.

وهاهي "خضرة" تتحدث إلى سعدية وتحثها عن وجباتها مع ذلك الزوج القاسي فتقول: " يضربني ضرب لم تتحمله العفاريت، هربت وقلت يمكن أن أرتاح، لكن شو الفائدة، ما قلت لك نهرب من الشقاء ، ومطرح ما نهرب نلاقيه مستني!"[1]. وتتزوج خضرة ثانية من رجل كهل مريض بالقلب، فتضطر تحت وطأة الحاجة والدواء إلى بيع جسدها، تجلب لزوجها الدواء والطعام، لقاء سماعها كلمات الرقيقة العذبة خضرة يا ست الكل ، وهذه الكلمة الحلوة كان لها وقع على قلب خضرة التي تحن إلى صدر دافئ رحيم.

وحين تستفز "خضرة" أو تشعر بالمهانة تبادر بالهجوم وتفحش الكلام،فها هي ترد على سعادة وهو يجيب "سعدية" عن عمل "خضرة": " خضرة لا بتشتغل في محل ، ولا في مصنع ... وكل يوم في شغل شكل . فتجيبه: يعني مثلك ، يوم عامل و يوم سواق... بس من غير أجرة"[2].

---

[1]– سحر خليفة ، عبّاد الشمس ، د.ط ، دار الفارابي ، بيروت : 1980 ، ص86.

[2]– المرجع نفسه ، ص 74.

صحيح أن "خضرة" اتبعت أو سلكت الطريق المعيب ضاربة بذلك عرض الحائط بكل القيم والمثل الاجتماعية والأخلاقية ، إلاّ أن قلبها لازال ينبض بحب الناس والعطف على أمثالها في البؤس والشقاء، فها هي تتعاطف مع الفدائيين تهلل بهم"روحي فداكم يا رجال ، الله ينصركم ... وأبوس تراب رجليكم ..."[1] . فخضرة هي من النساء الفلسطينيات اللواتي يواجهن البطش الصهيوني ، ويظهر ذلك جليا في مقاومتها لجنود الاحتلال بعنف وشراسة إثر توقيفها مع "سعدية" ظلما ، فتتصدى للجندي الذي ضربها: " ورفسته بين رجليه ، فتهاوى على الأرض ... وفتحت فمها أنشبت أسنانها بأنفه وصرخ بصوت مختنق..."[2] .

لقد أخطئت "خضرة" بسلوكها لهذا الطريق المعيب لكنّها نجدها كما رأيناها في مواقف إنسانية طيبة ، دفعتها ظروفها إلى هذا العمل المشين" و تقف خضرة من سعدية موقف آخر يتضح بالطيبة والتسامح ... بينما نجد خضرة تتجاوز هذه الإساءة ولا تحرص ولا تبوح بسرها ... حفاظا على سمعة سعدية المسكينة"[3].

إذا هذه هي خضرة التي تمثل نموذج المرأة البغي ، الخارجة عن المثّل والقيّم الاجتماعية والخلقية ولكن ظروفها المزرية هي التي دفعتها لذلك ، فهاهي سعدية تقول غاضبة أمام الصحفية رفيف: " جربت الحال المايل إلي يصعب على عزا زيين ... جربت حال خضرة لكي تبيع حالها وحيلتها، عشان لقمة ، ونقطة دواء"[4].

---

[3]- سحر خليفة ، عبّاد الشمس ، ص 96.

[2]- المرجع نفسه ، ص80 و81.

[3]- حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 131.

[4]– المرجع السابق ، ص273 و274.

ثالثا: صورة المرأة الثورية أو المناضلة

لقد رسمت الرواية الفلسطينية صورة المناضلة، ورصّدت أشكال النضال المثقفة المختلفة التي تمارسها المرأة و المرأة العربية الفلسطينية ثائرة على واقعها الاجتماعي الذي يكبلها وقائدة هي انتوتها التقليدية، كما أنها ثائرة على الاحتلال وما يمثله من قهر قومي.

فالمرأة الثورية أو المناضلة كما هي في الواقع والفن" تعطي طريقها، وتضحي من أجل الوصول إلى غايتها، فتحقق استقلالها الذاتي عن طريق العمل وممارسة النضال الوطني، وترى في ثورة المرأة وتحررها بداية للثورة الشاملة"[1].

ونجد هذا النموذج في رواية "باب الساحة" لــ:" سحر خليفة"، حيث نظهر الناشطة "ست زكية" الملقبة بأم الشباب، وهي امرأة مسنة تركها زوجها وهي صبية وترك لها ثلاث بنات صغار فاضطرت إلى العمل كفاية.

وعلى الرغم من بساطة هذه المرأة إلاّ أنّها استطاعت أن تكون نموذجا لكل امرأة ثورية مناضلة لا تعرف الخوف والجبن والخضوع، فقد كانت ممرضة تقوم بمعالجة الشباب إذا أصيبوا: " فتخيط هذا وتجبر ذاك وتستخرج رصاصة وتحقن إبرة، فهي الممرضة و الداية "[2]، كما تقوم بترصد الطريق لشباب الانتفاضة " ومن العتمة يسألها ملثم (الجيش في الطريق يا خالتي زكية؟) ولا تلتفت بل تواصل سيرها وهي تردد (الدار أمان للإنس والجن)"[3].

وتقوم كذلك بنقل أخبار الشباب إلى أسرهم " هي البشيرة والنذيرة ، هي الحمامة والبومة تدور من دار لدار لنقل البشارة وخبر المشئوم "[4]. "ست زكية" هي رمز لشجرة

---

[1]– حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص190و 191.

[2]– سحر خليفة ، باب الساحة ، ط1 ، دار الآداب ، بيروت : 1990 ، ص 22.

[3]– المرجع نفسه ، ص111.

[4]– المرجع نفسه ، ص22.

فلسطين الكبرى ، فقد أسهمت في هدم البوابة التي أقامت جنود الاحتلال وعجز الرجال عن هدمها.

ونجد كذلك نموذج المرأة المناضلة المثقفة في رواية "بوصلة من أجل عبّاد الشمس" لـــ: " ليانة بدر"، متمثلة في شخصية "شهد الصمدي" التي قدّمتها الرواية عن طريق ذكريات" جنان" صديقتها منذ الطفولة ورفيقة دربها في النضال وفي التظاهرات والانتفاضات ، وهي أيضا شاهدة على مآسي شهد ومواقفها الشجاعة في مختلف مراحل حياتها.

يقول حسان رشاد الشامي: " ينطلق الحدث الروائي من اللحظة الحاضرة المتمثلة في الحرب اللبنانية عام 1985، ليعود إلى الوراء عبر تداعيات " جنان" وذكرياتها التي تسترجع أحداث ما قبل عام 1967 وما بعدها مرورا بأحداث أيلول عام 1970، وما خلف من مآسي وجراح عميقة"[1]. وتعود الرواية إلى ماض شهد لتلقي بعض الضوء على ظروف نشأتها ومعاناتها، فقد ذاقت التشرد واليتم بفقدان أو استشهاد والدها، وعلى الرغم من هذه المعاناة إلاّ أنّها تابعت دراستها، فكانت طالبة متميزة تنتظر المساء بفارغ الصبر لتمارس مع صديقتها جنان نشاطهما السري الذي يتمثل بتوزيع المنشورات السياسية الممنوعة ولصقها على جدران المعهد، والتحريض على المظاهرات ضد سياسة القمع والاضطهاد والثورة على المحتل " عرفت موقعها في صفوف الثورة، من خلال اشتراكها في المعسكرات الطلابية، وقيامها بالكثير من المهمات النضالية التي كلفت بها، إضافة إلى نشاطات أخرى"[2].

كما لقيت "شهد" الكثير من المصاعب والأحزان في أحداث أيلول عام 1970، وفاة حبيبها المناضل "محمد فلاحة" ، لكن هذه الأحزان والدموع لم تقهرها أو إرادتها بل قوية وإرادتها وازدادت ثقتها بقضيتها التي تحارب من أجلها أيمان منها بأنّ " العالم

[1]-حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 196.

[2]- ليانة بدر، بوصلة من أجل عبّاد الشمس ، د.ط ، ابن رشد ، بيروت ، 1979 ، ص 21.

لا ينتهي عند إنسان واحد، وهو فسيح يسمح على نحو ما باحتضان أمنياتها ، والعمل من أجل تحقيقها"[1].

وتواصل شهد مسيرتها النضالية بعد تخرجها من المعهد و عملها كأستاذة للغة الإنجليزية في إحدى مدارس وكالة الغوث، فكانت تبث أفكاره الثورية في رؤوس تلميذ، ولكنها سرعان ما تفصل من العمل في المدرسة و هكذا حتى تغلق أبواب العمل في وجهها بسبب نشاطها السياسي لتصبح سكرتيرة في إحدى الشركات الخاصة في عمان.

وعلى الرّغم مما عانته "شهد" من جرّاء فصلها المستمر من العمل ، وملاحقة المخبرين لها بعد أيلول إلاّ أنّها تصر على المواجهة والتحدي ، فيها هي ذي تقول لجنان صديقتها: " يريد تدبير عالمي بالفصل المستمر من جميع الأمكنة ، حسنا ليفعلوا إن استطاعوا لو تفتت العالم فسوف أعيد تجميع أركانه، و لربّما خلقته من جديد كي أغيظهم" [2].

وهي تقول كذلك لصديقتها مؤكدة لها بعدم الاستسلام لمن يريد اغتيال أحلامها الثورية:" يا جنان ... إني دائمة الإحساس بأن من يكون مثلنا سيتمكن من مواجهة الرديء بنفس الشجاعة التي يواجه بها أفضل الأشياء ... ربما كان إحساسا بالفخر هو جزء من الحب العظيم الذي يشدنا إلى الوطن"[3].

إن "شهد" المناضلة والثورية، شجاعة قوية الإرادة تحب الحياة وتعشق الحرية مثلت نفسها وغيرها من النساء الفلسطينيات وهذا ما أكدّه حسان رشاد الشامي إذ يرى أنّ التجربة الصعبة والمعاناة المرة التي عاشتها "شهد الصمدي" وسواها من شخصيات الرواية أثناء أحداث أيلول وما بعدها، تصور صمود المرأة الفلسطينية المثقفة المدعمة

---

[1]- ليانة بدر، بوصلة من أجل عباد الشمس ، ص 68 و 69.

[2]- المرجع نفسه ، ص 76.

[3]-المرجع نفسه ، ص 88.

بالفكر الثوري ، بل تصور صمود الجماهير في وجه الاضطهاد والسحق ومؤامرات التصفية[1].

والمرأة المناضلة عموما في الرواية هي رصد للواقع الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي والمرأة الفلسطينية واعية بقضيتها التي تعيش من أجلها ليس حقوقهم فقط بل حقها أبناء شعبها من خلال عشقها ومحاربتها لنيل حرية وطنها.

والمرأة في هذه الصورة – المناضلة الثورية– تظهر رديفة للرجل في معركة النضال الوطني ، وتظهر أيضا بديلة له حين يقيّده العجز عن المشاركة بهذه المعركة وخير مثال: " رمزية في رواية أسطورة ليلة ميلاد" [2].

هذا بالنسبة لصورة المرأة المناضلة و الثورية في الرواية الفلسطينية ، و النماذج الروائية عديدة .

رابعا: صورة المرأة المثقفة:

يستطيع المرء أن يطالع في الرواية الفلسطينية عدة صور للمرأة المثقفة، فقد استحوذ هذا النموذج على اهتمام الكثير من الروائيين الفلسطينيين، ولعلّ السبب في ذلك الحضور يعود إلى قدرة هذا النموذج: "في التعبير عن فكر الكاتب، ورؤيته من حوله، فهو يعلق عليه الكثير من الآمال على الصعيدين الاجتماعي والوطني"[3].

والكاتب الفلسطيني يشير عبر شخصياته النسائية المثقفة إلى أبرز القضايا التي تتصل بعالم المرأة وقضيتها، وقد برعت "سحر خليفة" في تقديم هذا النموذج خاصة في رواية "عبّاد الشمس".

إذ تبدو شخصية "رفيف" الفتاة المثقفة التي تعمل صحفية في مجلة البلد في الضفة وتمارس حريتها الشخصية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، دون تدخل من

---

[1]- ينظر: حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 199.

[2]– يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، ص 30.

[3]– المرجع السابق ، ص 160.

أحد ، ولا شك أن عملها كان عاملا هاما في بناء شخصيتها وصقلها وفي توسيع مدركاتها الحسيبة وفي تمتعها بالحرية واعتزازها بنفسها.

ونجدها تنافس زملائها في المجلة وتتعامل معهم معاملة الندّ وتواجههم بحقائق ما في نفوسهم، فعادل " الذي يطالب العامل الفرد أن ينتظم ويحمي نفسه بالجماعة حتى لا تكون مصيره الشارع ، ويطالب المرأة أن تمارس التمرد ، ولا يعرف إذا كان مصيرها الشارع ، هو إنسان منفصم مزيف النية ، أو أنه قامت عن فهم الواقع في حركته..."[1].

فهم يطبقون على الآخرين لا يطبقونه على أنفسهم و"رفيف" تتبنى الكثير من الأفكار التقدمية، التي تتمحور حول قضية المرأة العربية عامة والفلسطينية خاصة ، وترى بأن قضية المرأة جزء لا ينفصل عن قضية الوطن، كما تؤكد ضرورة أن ينهض الإنسان العربي رجلا كان أم امرأة لتحارب الأفكار السلبية للموروث الاجتماعي والثقافي، فها هي "رفيف" تعبر عن احتجاجاتها وغضبها أمام عادل: " أهي مجلة تقدمية أم لا؟ أريد أن أعرف، إن كانت تقدمية فعلا فعلينا التوفيق فورا عن معاملة المرأة كما لو كانت شريحة اجتماعية منفصلة ... عليها أن تقرأ ما يقرأه الرجل، اهتماماتها هي نفس اهتماماته"[2]. و"رفيف" في هذه الرواية تدعو إلى التغيير لتتمكن المرأة من ممارسة حريتها ولكنها: " تعارض حرية المرأة الجنسية التي تعني الانقلاب و التحلل من جملة القيم الاجتماعية والضوابط الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع "[3].

إذا "رفيف" تدرك بوعيها السليم كيف تكون فاعلة ومؤثرة في مجتمعنا، فقد شقت طريقها الصعب بثقة وإصرار بعد أن وعت واقعها وتحسين آلامه ومعاناته من واقع الاحتلال المقيت، ولكنّها كثيرا ما كانت تصطدم بإرادة الرجل المثقف الذي يؤيد حينا

[1]– سحر خليفة ، عبّاد الشمس ، ص209.

[2]– المرجع نفسه ، ص106.

[3]– المرجع نفسه ، ص17.

ويعارض في كثير من الأحيان، كما تدين عجزهما لكل من (عادل وسالم) عن فهم المرأة وتعجب كيف يمكن لعادل وأمثاله من المثقفين دعاة التحرر والفكر التقدمي أن يقودوا الحركة اليسارية ضد الكيان الصهيوني وهم عاجزون عن فهم أو الوصول إلى المرأة الفلسطينية، وآمالها: " الثورة لن تحل مأساة الشعب، وهؤلاء هم القادة. عادل والشعب وأنا نصف الشعب، أنا المرأة، أنا النموذج الذي يمارس عليه عادل تطبيق النظرية، ومن يعجز في الجزء يعجز في الكل"[1].

وعلى الرّغم من ذلك فقد أظهرت "رفيف" إخلاصا كبيرا لمبادئها و أفكارها ، كما سعت إلى تجسيدها عمليا في سلوكها و تصرفاتها ، و تبقى "رفيف" و مثيلاتها كما صورتها الرواية ذات النهاية المفتوحة " نضالا يواكب ركب النضال و الدّرب الطويل"[2].للوصول إلى ماتصبّو إليه المرأة المثقفة الواعية ، من إزالة كل القيود التي تقف أمام حريتها و تحقيق ذاتها و أحلامها و طموحاتها ، و تأكيد هويتها :" لقد حملت رفيف بذور الرفض و الثورة فكريا " .[3]

هذه هي صورة المثقفة الفلسطينية التي جعلت من العلم و الثقافة سلاحا تحارب به أعداءها و ذاتها و القيود التي تكبّل حريتها.

وفي هذا الفصل الموسوم بصورة المرأة العربية الفلسطينية في الرواية العربية الحديثة، تناولت صورة المرأة العربية عموما والفلسطينية على وجه خصوص، وأعطينا نماذج من الروايات لتوضيح ما درسته مركزة على أقلام روائية ذكورية وأقلام روائية نسائية واستنتجت:

أنّ هناك بعض الأعمال السردية الذكورية الخالصة تأتي الأنثى لها أنثى مسالمة، مهمشة وضعيفة، والبعض الأعمال الأخرى تطورت وتغيرت فيها المفاهيم السلبية تجاه المرأة.

---

[1]– سحر خليفة ، عبّاد الشمس ، ص119.

[2]– المرجع نفسه، ص 104.

[3]– حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 188 .

ومن أهم هذه النماذج رواية نجيب محفوظ الموسومة ب:"ميرامار" وقمت بدراستها، وروايات الروائي الكبير حنا مينه فبالكاد تخلو رواية له من نموذج إيجابي يمثل المرأة، وهذه الصورة الايجابية تكررت في العديد من الأعمال الروائية العربية المعاصرة.

أما الروائية النسائية أو الأعمال السردية النسائية، فكانت تصر على نقدية صورة إيجابية عن المرأة، وكانت الروائيات متحاملات على الرجل، لكن الروائية النسائية لا تهاجم الرجل كرجل وإنما صورة الرجل المتسلط، كما تم التركيز على ما تعانيه المرأة من حرمان الرجل المتسلط.

وفي الرواية الفلسطينية وجدت أن العنف ضد المرأة لم يكن من الرجل أو العادات والتقاليد فقط، بل وجدت عنفا من النوع الأخر وهو العنف العسكري الموجه ضد الإنسان الفلسطيني (رجلا / امرأة).

ووجدت أن المرأة الفلسطينية على الرغم مما تعانيه من آلام وقهر وعدم استقرار، إلا أنها تناضل من اجل قضيتها ، وقضيتها الأسمى هي تحرير فلسطين

وفي بداية الفصل الثالث؛ سأحاول أن أطبق ما درسته على الرواية المختارة وهي " رواية أم سعد " لـــ :"غسان كنفاني".

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية في رواية "أم سعد"

لغسان كنفاني

المبحث الأول: صورة المرأة في رواية "أم سعد"

المبحث الثاني: العنف في رواية "أم سعد"

المبحث الثالث : (المرأة /العنف) في رواية "أم سعد" تحدّ و إصرار

المبحث الأول : صورة المرأة في رواية " أم سعد "

لم ينغلق الروائي الفلسطيني على عالمه وهمومه على الرّغم من انشغاله بقضيته الوطنية، بل تجاوز ذلك الاهتمام بقضايا الإنسان وصراعه مع ظروف الحياة القاسية سواء أكان رجلا أم امرأة . هذه الأخيرة التي عاشت الأوضاع الصعبة في مراحل مختلفة من الحياة خاصة بعد النكبة فقررت ألاّ تفصل قضية تحررها عن القضية الوطنية.

وغسان كنفاني في رواياته لم يعطها دور البطولة ؛ بل كانت شخصية ثانوية شبه هامشية ويعود سبب ذلك كما تقول "صبيحة عودة زعرب" في كتابها "غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي" : "إلى عدم ظهور المرأة المناضلة إلاّ بعد 1967".[1]

وبعد ذلك تعددت صور المرأة في رواياته ، فجاءت صديقة في "رواية برقوق نيسان" من خلال علاقة زياد حسن بالبطلة سعاد ، وجاءت عشيقة في " رواية الشيء الآخر" ، وجاءت زوجة ، و أمّا كذلك.

إذا تغيرت رؤية غسان كنفاني من امرأة إلى أخرى فنظر إلى المرأة بكل أبعادها، لكن في أغلب رواياته طغت الصورة الأخيرة التي ذكرتها و هي صورة الأم.

فالأم عند غسان هي حصنّه الآمن الذي يلجأ إليه عندما تواجهه مواقف صعبة و هي محور أماله و آلامه ، فنجده يعدّها في رواياته بديلا عن الوطن من خلال أبطاله "ففي كل رواية من رواياته تجد صورة مختلفة من صور الأم في غسان كنفاني".[2]

---

[1]– صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ط1 ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن : 2006 ، ص 206.

[2]– أمل العلامة وآخرون ، الأم في روايات غسان كنفاني ، ص08.

وفي "رواية أم سعد" تعددت نماذج النساء كلّ حسب مهنتها و دورها في الرواية ولكن المحور الرئيس هو بطلة الرواية المدعوة بأم سعد.

فما هي أهم الصور التي أدرجها غسان كنفاني في هذه الرواية؟

"أم سعد" التي تمثل المرأة في هذه الرواية تعددت صورها ؛ فهي الأم التي تحنّ وتشتاق لابنها ، وهي المناضلة الثورية بأفكارها، وبإرسال سعد ابنها للانضمام إلى الفدائيين ، كما جاءت تحمل صورة الأم الرمز لفلسطين.

وإذا ما أمعنّا النّظر في هذه الرواية نجد بطلتها أما مناضلة من أجل توفير لقمة العيش لأولادها ، وثورية كادحة في إيمانها بالقضية الوطنية ، لذا جعلها غسان تمثل المرأة الفلسطينية عموما في معاناتها وفي آمالها وآلامها.

1 ــ الأم المناضلة من أجل لقمة العيش: "أم سعد" المرأة الفلسطينية الكادحة التي عاشت عمرها عشر سنوات في التعب والعمل كي تنتزع لقمتها ولقم أولادها "إنّها سيدة في الأربعين كما يبدو لي– يقول الراوي – قوية كما لا يستطيع الصخر، صبورة كما لا يطيق الصبر، تقطع أيام الأسبوع جيئة وذهابا، تعيش عمرها مرات في التعب والعمل كي تنزع لقمتها النظيفة ولقم أولادها".[1]

تخدم بيوت الآخرين وبيت الراوي ، وتشطف الأدراج في البنايات الكبيرة لقاء أجر زهيد، فقد كانت تنظف أدراج البنايات ثلاث مرات أسبوعيا مقابل خمس ليرات من أجل توفير لقمة العيش لأبنائها. وفي اللوحة المسماة ب:" الناطور وليرتان فقط" يظهر لنا جليا ما تعانيه أم سعد أثناء العمل من تعب وإرهاق، لكنّ نفسها الأبيّة منعتها من أن تأخذ عمل امرأة أخرى، فنجد في هذه اللوحة العلاقة الإنسانية بين المرأة الفلسطينية النازحة(المتمثلة في أم سعد) والمرأة اللبنانية الفقيرة حين ترفض "أم سعد"

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة " أم سعد "، ط1 ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت : 1972، المجلد الأول، ص 259.

أن تعمل مكان المرأة اللبنانية "ومسحت أم سعد راحتيها المبتلتين بردائها ، ثم أخذت تنزل كميّها المشمرين ، وتنظر حولها ، ثم قالت:

- يختي ، والله لم أكن أعرف... خذي اشطفي بقية الدرج...غدا قولي للخواجا أنّ أم سعد سامحتني بالأجرة".[1]

ومن خلال هذا العمل تسهم في حمل أعباء أسرتها ، خاصة أولادها سعد و الصغير سعيد ، هذا الأخير كان سببا في منعها من المشاركة في المقاومة ، ويظهر ذلك في الحوار الذي دار بين "أم سعد" والراوي ، حيث قالت له أنّ الأطفال ذلّ فلو لم يكن لديها أطفال للحقت بابنها سعد وحضرت له ولرفاقه من الفدائيين الطعام.

كما وقفت "أم سعد" إلى جانب زوجها الذي كادت البطالة أن تخنقه ، وتركت المجال لأولادها ليلتحقوا بالعمل الثوري وبذلك حققت من خلال عملها الشريف فائدة مزدوجة على الصعيدين الأسري والوطني.

2 ــ المرأة الثورية الكادحة:

وفي هذه الصورة تمثل "أم سعد" الأم الرمز الشامل لطبقة المخيم في المنفى ، فهي "ليست امرأة واحدة ... هي صوت تلك الطبقة الفلسطينية التي دفعت غاليا ثمن الهزيمة"[2]، كما تمثل الطبقة المسحوقة في المخيم والمرأة الفلسطينية المسحوقة، وبالتالي هي الرمز الشامل للكفاح غير اليائس وهذا ما سيظهر لنا جليا أثناء هذه الدراسة.

تحكي "رواية أم سعد" عن قصة شقاء بطلتها التي تحمل اسمها ومعاناتها اليومية وهي تغالب واقعها المرير من أجل تجاوزه ، فقد جعلتها تلك الظروف المزرية التي عاشتها في المنفى تحس بالضيق والغضب ، وترى كل ما حولها حبسا تقول "أم سعد": "الحبوس أنواع يا ابنّ العم !... المخيم حبس ، وبيتك حبس والجريدة حبس ، والراديو

[1] – غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 318.

[2] – المصدر نفسه ، ص 232.

حبس..... أعمارنا حبس، والعشرون سنة الماضية حبس "[1] . وللخروج من هذا الحبس ومن حياة العفن والذلّ أدركت أم سعد أن النضال لتحرير الأرض مرتبط بتحرير الإنسان من عجزه، فلا طريقة تخرجها هي وأبناء المخيم من حياة القهر إلاّ الكفاح المسلح.

فهاهي "أم سعد" لا تعارض التحاق ابنها "سعد" بالفدائيين بل تشجعه وتدفعه إلى ذلك بفخر واعتزاز وتتمنى لو تلحق به وبرفاقه، حيث تقول:"وإذا لم يذهب سعد، فمن سيذهب؟"[2]، هذه الأم رأت في ابنها سبيلا لتحقيق آمالها وآمال أهل المخيم من اللاجئين وذلك بالعودة إلى ديار الوطن والعيش في كنّف الاستقرار.

"أم سعد" لم تعد تؤمن إلاّ بالكفاح من أجل العيش بشرف، فإيّمانها بالقضية الوطنية جعلها تتجاوز عواطف الأمومة وهذا ما يؤكد هذا المقطع حيث تقول للراوي: "أقول لك ، لتكن توصيتك به إلى رئيسه أن لا يغضبّه ، قل له : أم سعد تستحلفك بأمك أن تحقق لسعد ما يريد... يريد أن يذهب إلى الحرب؟ لماذا لا يرسله؟"[3]. لقد اعتدنا أنّ الأم توصي دائما بابنها لكي يحقق ما يريد ولكن في أمور مفرحة ، لم نعهد بقراءة أو سماع وصية مفادها أنّ أما تريد إرسال ابنها إلى الحرب ، والحرب يعني الموت أو الموت ، لكن حبّ أم سعد لبلدها جعلها تضحي بابنها وتحقق بذلك ذاتها كأم تنجب فدائيين من أجل فلسطين وتحريرها من ظلم الظالمين.

كما تمثل "أم سعد نموذج المرأة الفلسطينية التي ترفض التعامل مع رموز الخيانة والعمالة"[1] ، التي تمثلت في المختار والأفندي وعبد المولى فواجهت المختار الذي منع سعد ورفاقه من الالتحاق بالفدائيين، وتفضل أن يبقى ولدها سعد بالسجن على

---

1 ـ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 255.

2 ـ المصدر نفسه ، ص 263.

3 ـ المصدر نفسه ، ص 263.

4- حسان رشاد الشامي ، المرأة من رواية الفلسطينية ، ص 191.

أن تذهب للتوسط عند قوات الاحتلال الإسرائيلي للإفراج عنه عن طريق المختار، حيث تقول:" إنّ الحبس أفضل من ذلك.... ألم أقل لك-موجه للراوي- أن لا تفكر في المختار؟ أتعرف ماذا حدث؟ ذهب وأراد أن يأخذ من كل واحد منهم توقيعا على ورقة يتعهدون فيها أن يكونوا أوادم، ولكنهم رفضوا وطردوه"[2] فهي تحمل مسؤولية الهزيمة لخونة القضية الفلسطينية ابتدءا من المختار الذي يريد من الفدائيين أن يوقعوا تلك الورقة أو يتعهدوا بأن يكونوا "أوادم" فالآدمي عند الخونة والعدو هو أن يأكل ويشرب وينام فقط، أي أن يرضى بالحياة التي يعيشها.

وتظهر لنا صورة المرأة الثورية واضحة في اللوحة السابعة حينما ترفض "أم سعد" تلك العادات والتقاليد البالية التي لا تنفع، من خلال استبدالها الحجاب الجديد بالحجاب القديم الذي صنعه لها دجال من فلسطين، إيمانّها بأنّ الحجاب المرتبط بحفظ الإنسان ودفع الشر عنه، لا يمكن أن يظل في مجتمع ثوري، بل استخدمت بدله رصاصة فارغة "ذلك كان ما أبقاه لها سعد.... سلسلة من المعدن، تنتهي برصاصة مدفع رشاش مثقوبة قرب قاعدتها النحاسية ومفرغة من بارودها.... قالت أم سعد للأفندي حين سألها عنها: هذا حجاب.."[3]. هذه الرصاصة هي حجاب أم سعد الجديد الذي سيخرجها من هذه الحياة البائسة التي عانت منها مدة عشرين عاما، فلا بدّ من الكفاح لبلوغ هذا الهدف.

ومما تقدم هناك من يقول أنّ "أم سعد" ليس بامرأة ثورية فلم تشارك في العمل الثوري بحمل السلاح أو غير ذلك فقط أرسلت ابنها للانضمام إلى الفدائيين وهذا واجب كل امرأة فلسطينية " إنّ "أم سعد" اشتركت بمدّ الثورة بالقوت الأساسي لها

---

1 ـ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 253.

2- المصدر نفسه ، ص 324.

وهو العنصر البشري و ليس صائبا تشترك امرأة عجوز كأم سعد لحمل السلاح ومشاركة الفدائيين في معركته على أرض المعركة، ولكننا لمسنا مشاركتها الثورية في الصور التسع".[1]

إذا "أم سعد" شاركت في كل اللوحات–في العمل النضالي، فهي مناضلة عندما أرسلت ابنها للكفاح، ومناضلة عندما آمنت بالقضية الفلسطينية وسعت إلى تحقيقها، وفي مساعدة للفدائيين عند ما حاصرهم العدو فأمدّتهم بالطعام لمدة خمسة أيام، صحيح أنّ أم سعد لم تكن مع ابنها و الفدائيين عندما حوصروا بل ساعدتهم عجوز أخرى و سأفصل في ذلك لكنّ غسان أعطى أم سعد الرمز الشامل للمرأة الفلسطينية.

وبين "أم سعد" والأرض علاقة حميمة حيث ربط غسان كنفاني بين صفات المرأة والأرض وتظهر لنا صفات أم سعد من كرامة وتضحية ، وحب للأرض ولأبنائها ووردت هذه العلاقة في مواقع كثيرة منها:" قادمة من رأس الطريق المحاط بأشجار الزيتون... مثل شيء ينبثق من رحم الأرض... هذه المرأة تجيء دائما، تصعد من قلب الأرض وكأنّها ترتقي سلما لا نهاية له "[2]. هذه الصفات وغيرها تعبر عن ارتباط أم سعد والمرأة الفلسطينية عموما بالأرض، وتجذّرها فيها وتوحدها معها.

هذه هي صورة أم سعد بطلة الرواية لتي تحمل اسمها، أم ثائرة كادحة تعمل من أجل توفير لقمة عيش نظيفة، وهي نموذج المرأة الفلسطينية المناضلة التي تسعى إلى تغيير وضعها، فبالرغم من بساطتها إلاّ أنّها واعية بقضيتها، ضحت بفلذة كبدها من أجل نيل الحب الأكبر والأغلى فلسطين، وهناك نماذج أخرى غير أم سعد وسأذكرها.

3ـــ صورة الأم الشاملة :

لقد حرص الروائي الفلسطيني على أن يقدم الأم الفلسطينية في إطار إنساني وفني بديع ومميز، إذ قدمها إنسانة مكافحة متفائلة بالمستقبل، محبة للحياة وللأرض

[1]- ينظر: أمل العلاقة وآخرون ، الأم في روايات غسان كنفاني ، ص 13.

[2]-غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 245.

والعمل ، فلم تستسلم للواقع المزري الذي فرضه عليها الاحتلال.[1]

فلم يقدمها كسائر الأمهات بتقيد علاقتها بأولادها فقط، فهاهو الشهيد غسان كنفاني جعل أمومتها تشمل شباب الوطن الواعدين، فهي تعطيهم الحب والحنان والعطف والرعاية والحماية من الأذى وخاصة العدو وتحظى منهم بالاحترام والتقدير والمحبة.

وتظهر هذه الشخصية أو هذا النموذج في اللوحة الثالثة من "رواية أم سعد" وعنوانها "في قلب الدرع" حيث قدم لنا غسان صورة للأم الفلسطينية في أعظم تجلياتها حين تنقذ سعدا ورفاقه من حصار صهيوني كاد أن يقتلهم جوعا وعطشا ،يصف سعد هذه العجوز بقوله :" رأوا امرأة في ثوبها الريفي الطويل الأسود تنزل قادمة صوبهم، تحمل على رأسها بقجة ، وفي يدها رزمة من العروق الخضراء . وبدت لهم عجوزا في عمر أم سعد وفي قامتها العالية الصلبة".[2]

فعند ما حوصر "سعد" مع بعض رفاقه في موقع داخل الأرض المحتلة وطال الحصار أياما عديدة عانوا خلالها من الجوع والعطش والإرهاق، تمر بهم آنذاك امرأة قروية فيقول سعد ها قد جاءت أمي واحتار رفاقه فيه ونصحوه بالاختباء خشية أن تشي بهم إلى قوات الاحتلال، لكنّ سعد يصرّ على أنّها أمه وفجأة يناديها "يما-يما"[3] لكن المرأة لم تحدد الوجهة ولم تدرك ما الذي يجري ثم أعاد الكرة بقوله:" أنا هون يما ! أنا سعد يا ما جوعان"[4].

وعندما يصبح "سعد" مواجها لها تضمّه إلى صدرها بلهفة وإعجاب وحنان: " وحين صار على بعد خطوة منها فتحت ذراعيها و احتضنته : "يا حبيبي... يا ابني...

1ـ ينظر: حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 22.

2- غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 281-282.

3- المصدر نفسه ، ص282.

4- المصدر نفسه ، ص 285.

الله يحميك".[1]

ويقول "حسان رشاد الشامي" في كتابه "المرأة في الرواية الفلسطينية" بخصوص هذه اللوحة :" وتكتسب هذه اللوحة شاعريتها الرائعة ليس من المرأة الفلسطينية الأخرى تقدم لهم العون كأمّ، ولكن من أنّ سعدا يصّر أنّها أمه فعلا وهي فعلا أمه، لأنّ كلتا المرأتين واحدة في الجوهر والمعنى"[2].

فحين عاد سعد لأمه أخبرها بأنّه رآها هناك، وأنّها لو لم تطعمه لمات جوعا، وهذه المرأة بعملها هذا هي امرأة مناضلة ساعدت الفدائيين أمدّتهم بالأكل لمدة خمسة أيام:" قالت أم سعد: تلك المرأة العجوز ظلت أياما خمسة تطعمهم... قال لي سعد إنّها لم تتأخر ساعة واحد حتى انفك الحصار"[3].

كما قامت هذه العجوز التي تمثل المرأة الفلسطينية في تفانيها و حبها لأبناء بلدها بحراستهم ونقل الأخبار لهم فعندما غادر العسكر أخبرتهم بذلك:" ونادت: العسكر راحوا... الله يوفقكم..."[4]. إنّ الأم هنا هي التي تحرص على حماية أبناء بلدها و لا تشي بهم، بل تساعدهم لأنّهم جنود و حماة هذا الوطن هي المناضلة التي جاءت بالطعام للفدائيين (سعد و رفاقه) لتنقذهم من حصار الجيش الإسرائيلي الغاشم ،هي المرأة الفلسطينية الشجاعة.

وكأنّ غسان كنفاني من خلال هذه اللوحة الرائعة يبلغ رسالة و هي أنّ الأم الفلسطينية دائما تكون سندا للثورة و الفدائيين ، و ستمدهم بالطعام والشراب و الحنان لن تبخل عليهم أيها الفدائيين وسوف تجدون عندها الطعام والشراب والحنان كما

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص285.

[2]– حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، ص 27 .

[3]– المصدر السابق ، ص286 و287.

[4]– المصدر نفسه ، ص 287 .

وجدوه عند أمهاتكم ، و كأنه يقول اخرجوا من حصار أنفسكم و حاربوا من أجل قضيتكم ، بادروا فستجدون أمهاتكم وأمكم الغالية فلسطين تساندكم فقط بادروا.

هذه هي صورة الأم الشاملة التي تحبّ أبناء بلدها دون مقابل ودون أن يربطها بهم علاقة بيولوجية ، ولكنّ العلاقة هنا هي علاقة وطن وإيمان بقضية يعيشون من أجلها، كذلك موقف سعد تجاه هذه المرأة وإصرّاره بأنّها أمه ، فهو دائما يرى أمّه داخل فلسطين (أم سعد) في المخيم وفي الحرب مع الفدائيين.

إذا هذه هي الأم الفلسطينية الواعية بقضية وطنها والكادحة من أجل نيل هذه القضية

بطريقة أو بأخرى بعمل مادي أو معنوي ، بأن تحمل السلاح أو تحضر خبزا للثوار، المهم أنّها تساهم بأقصى ما تملك.

4 ــ صورة المرأة العاملة الكادحة:

يتمثل هذا النموذج في شخصية عاملة النظافة، المرأة اللبنانية الفقيرة المظلومة

"وقالت أم سعد:

- ومنين الأخت ، بلا صغرة ؟
- أنا من الجنوب
- فلسطينية؟
- لا، لبنانية من الجنوب"[1].

هذه المرأة كانت تعمل في إحدى البنايات حيث كانت تنظف وتشطف درجها (البناية) مقابل سبع ليرات ، فقام صاحب العمارة بطردها لأنّها تتقاضى كما قلت سابقا سبع ليرات ، ووظف أم سعد مكانها بخمس ليرات فقط.

1ـ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص318 .

وهذا الحوار الذي دار بين "أم سعد" و"المرأة اللبنانية" يوضح ذلك:

"كانت المرأة الواقفة هناك تبدو ريفية، وغريبة في انتظارها الغامض.

- خير؟
- جئت إليك (إلى أم سعد) لأقول لك شيئا، أنا التي كنت أنظف هذا الدرج ثلاث مرات في الجمعة، وقبل شهر وثلاثة أيام جاء الخواجا، فقال لي مع السلامة... كم يعطونك؟
- خمس ليرات يختي
- كانوا يعطوني سبع ليرات، أنا امرأة عندي أربعة أولاد، وقالوا لي سبع ليرات كثير..."[1].

إذا هذه السيدة اللبنانية كانت تعمل من أجل توفير لقمة العيش لأربعة أولاد، تمثل طبقة المشردين المقهورين المستغلين من طرف الطبقة الغنية.

امرأة تكافح من أجل أولادها، فقد جاءت لأم سعد لا لتأخذ مكانها وإنّما لتسألها عن مكان عملها في السابق، لعلها تجد عملا تؤمّن به حياتها و حياة أطفالها الأربع.

تقول لأم سعد:" وما ذنبك أنت؟ أنت مثلي وعندك أولاد، ولكني قلت لنفسي ، وقد انقطع رزقي: آتي إليك، فلعل المكان الذي كنت تعملين فيه قبل أن تأتي إلى هنا مازال شاغرا، فتدليني عليه.."[2].

هذه مثال المرأة التي تكدّ وتعمل من أجل لقمة العيش، تكسب مالها من عرق جبينها ولا تأبى أن ترضخ وتذل نفسها.

---

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 317 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 317 .

وهناك نماذج أخرى من النساء، لكن المعلومات قليلة حول شخصية النساء "مما يضعف التدرج في تحديد ملاحمها وصفاتها"[1].

وعلى الرّغم من ذلك سأحاول أن أعطي تلك المعلومات القليلة ومن أهم النماذج:

5 ــ المرأة التي جلست بجانب أم سعد في الباص، وتحدثت معها أم سعد عن ابنها الذي تفتخر به، حيث تقول أم سعد : "قلت للمرأة التي جلست بجانبي في الباص أنا ولدي أضحى مقاتلا"[2].

6 ــ كما نجد طأم ليث" وهي تمثل المرأة التابعة التقليدية. هذه الأخيرة التي لم يسند لها غسان أي دور، هي أم ليث صديق سعد. هذا الأخير الذي بعث برسالة لعائلة ليث ومضمونها هي ألاّ يتوسط أهل ليث للخائن عبد المولى.

ومن خلال كلام أم سعد يتبين لنا شخصية أم ليث التقليدية، حيث تقول أم سعد:" سعد يقول لي أن أذهب إلى أمه (أم ليث) وأن أقول لها لا ، ثم تقول: لو ذهبت إلى أم ليث وذكّرتها بحكاية فضل وعبد المولى، أينفع ذلك شيئا؟"[3]. أينفع ذلك شيئا ؟ أينفع إن علمت أو سمعت أم ليث لقصة فضل؟ ماذا ستفعل؟

كلها تساؤلات تنم عن شخصية أم ليث البعيدة كل البعد عن القضية الفلسطينية، الخاضعة والتابعة لأفكار طبقتها.

7 ــ كما نجد نموذج" نساء المخيم" المناضلات، الصابرات و اللاتي يعانين ما تعانيه أم سعد. فعندما ألقت طائرات العدو الإسرائيلي حدائد مدببة ذات أربع رؤوس مسنة، قامت النساء بجمع هذه القطع وتنظيف الطريق لكي لا تعيق سيارات الثوار "واندفعت النساء... إلى الطريق المظلم وأخذوا يجمعون قطع الحديد بأيديهم العارية، ويقذفون بها

---

[1]– حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 245 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 264 .

[3]- غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص305– 309 .

إلى الرمل ، وبسرعة انتشروا كالأشباح على الطريق ينظفونه من العراقيل، وفي كل مرة كانت الطائرة تعود ، كانوا يقذفون بأنفسهم إلى الرمل، ثم يعودوا إلى الطريق مع ذهابها"[1] .

ومما تقدم ، يمكن القول أنّ غسان كنفاني استخدم في "رواية أم سعد" أكثر من نموذج للمرأة ، فهناك الراوي الرئيس للعمل أم سعد، وهناك العجوز التي قدمت لسعد ورفاقه الطعام وهم محاصرون ، وهناك المرأة التي جلست بجانب أم سعد في الباص، وهناك أم ليث.

ومن خلال هذا الحضور للمرأة نستطيع القول بأنّها رواية المرأة بامتياز، حملت نماذج شتى للمرأة فهناك الثورية المناضلة وهناك الأم الكادحة، وهناك العاملة من أجل تأمين لقمة العيش لأولادها، كما نجد نموذج المرأة التقليدية السلبية التي لا تملك أي دور.

هذه أهم الصورة والنماذج النسائية الموجودة في "رواية أم سعد" لغسان كنفاني، والآن سوف أقوم بدراسة العنف في هذه الرواية.

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 295 .

المبحث الثاني: العنف في رواية " أم سعد "

عالج الأدب الإنساني ظاهرة العنف ولم يتجاهلها مثله مثل التخصصات الأخرى غير أنّه تناولها من ناحية المضمون، وهذا ما نجده في الروايات العربية.

ففي الفصل الأول أعطيت مفهوما له، وبيّنت وجود هذه الظاهرة في الأدب حيث درست عدة نماذج روائية كان العنف مضمونها وموضوعا لها.

وفي هذا المبحث سأدرس العنف الممارس ضدّ "أم سعد" التي تمثل المرأة الفلسطينية في الرواية، ولكن في هذه الرواية نجد عنفا آخر تندرج ضمنّه الأشكال التي درستاها من قبل، ألا وهو العنف السياسي العسكري أو الإرهاب الدولي.

ـــ فما هو هذا العنف ؟

***ـــ العنف السياسي العسكري أو الإرهاب الدولي** (العلاقات الاستعمارية) : ويتمثل هذا الإرهاب في الصراعات السياسية الدولية، وما ينتج عن ذلك من استعمار كالاستعمار الصهيوني لفلسطين والاجتياح الأمريكي للعراق وأفغانستان، وما إلى ذلك.[1]

وبما أنّ الرواية التي سأدرسها هي رواية لكاتب فلسطين وموضوعها يتضمن مناقشة القضية الفلسطينية، سيكون الحديث عن الإرهاب الصهيوني في فلسطين محورا لهذه الدراسة.

وفي "رواية أم سعد" لـــ:"غسان كنفاني" نجد هذا النوع من العنف الممارس ضدّ المرأة والرجل الفلسطينيين أو الإنسان الفلسطيني عموما، ولهذا النوع من العنف أثر كبير على حياتهم فهم يعانون الذلّ والحرمان وعدم الاستقرار فكل يوم حرب تندلع وموتى وشهداء ودماء اعتاد الفلسطيني على رؤيتها.

[1]– حسين مناصرة ، قراءات في المنظور السردي النسوي ، ص 08 .

ومن بين هؤلاء الناس الذي يعانون من هذا العنف الإرهابي هم أبناء المخيم "مخيم البرج" الواقع بلبنان، وهذا المقطع يبين ذلك:" وشقت طوابير النازحين مسافات جديدة "[1]. فعدم الاستقرار هو نتيجة للاضطهاد الممارس من طرف الاحتلال الصهيوني والحرب هي المحور الرئيسي للإرهاب، فاندلاعها ينتج عنه الفقر و الاضطهاد وسفك الدماء:" كنت أسمع هدير الحرب بالراديو... وقالت زوجتي (كلام الكاتب): لقد اختفت أم سعد منذ تفجر القتال"[2].

إذا هي الحرب التي اندلعت في فلسطين (حرب 1967)، فكان الشعب الفلسطيني كله ينتظر النتيجة ويعاني القلق ومنهم أم سعد بطلة هذه الرواية.

فها هي تظهر لنا قلقة متوترة بصمتها من خلال حديثها مع المثقف الثوري ابن العم، فلم تسأله ولم تتحدث معه بل بقيت صامتة تحدث نفسها ثم قالت:" انتهى الأمر، أليس كذلك؟ "[3] . هي الهزيمة التي وقع ضحيتها الشعب الفلسطيني سنة 1967، تسأل وكأنّها لا تصدق أو تريد أن تقنع نفسها بأنّ الشعب الفلسطيني خسر المعركة ولم يخسر الحرب بعد.

وكما نجد في اللوحة الأولى المعنونة تحت اسم "الحرب التي انتهت" العنف العسكري الإرهابي الذي مورس على سعد ورفاقه، فسعد حمل أغراضه وجمع رفاقه وخرجوا من المخيم ولكن يا حسرة لم يصل حبسوه.

لقد سجن سعد ورفاقه أثناء ذهابهم إلى الفدائيين لينظموا إليهم في العمل الفدائي ، حبس سعد لأنّه يناضل من أجل تحرير وطنه وهو في نظر العدو الإسرائيلي مجرم ويجب أن يحبس ويحاسب.

---

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 245 و 246 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 246.

[3]– المصدر نفسه ، ص249.

وهذا كان له أثر على نفسية "أم سعد"، هذه الأم التي احتارت وقلقت من أجل ابنها ورفاقه حيث "أخذت تدور حول نفسها، تشير إلى كل شيء... وبدت لي حركة ذراعها وكأنّها رمز لشيء شديد التعقيد، لا يمكن أن يرقى إليه عقلها البسيط"[1].

كما يبّين هذا القول نفسيتها المتعبة:"أنتظر شيئا ما يفتح شهيتي ليس للأكل فحسب، ولكن للحياة أيضا... أتصدق؟ ليس ثمة من يستطيع أن يفعل ذلك إلاّ سعد".[2]

كما نجد هذا النوع من العنف في اللوحة الخامسة التي تحمل عنوان "الذين هربوا والذين تقدموا" حيث يقول الراوي:"كانت أم سعد تعشّ ابنها الصغير حين سمعت دويّ الانفجار الأول (في مخيم البرج الذي لا يبعد كثيرا عن المطار) ثم يقول الراوي:" ولم تتردد لحظة حين سمعت الانفجار الثاني، فتركت صغيرها وعادت إلى الخارج... وهناك استطاعت أن ترى أذرعه النار تغوص في غيوم الدخان الماضي إلى العتمة"[3]. وكان لهذا الانفجار أثر على نفسية "أم سعد" حيث شعرت بالحيرة والقلق لأنّها لم تفهم شيء عن هذا الانفجار الذي وقع فجأة جعل أم سعد حائرة .

وها هو الاحتلال الإسرائيلي يستعمل الطائرات لمنع الفدائيين من العمل ضدهم "جاءت الطائرة، مطلية باللون الأسود وحلقت على علو خفيض، وأخذت تزخ رصاصها على الشارع، وسمعت أم سعد صوتا معدنيا كالرنين يملأ الطريق...قطعة حديد ذات أربعة رؤوس مسننة".[4]

كانت هذه طريقة العدو في مواجهة أعمال الفدائيين، حيث ألقت طائرات العدو الإسرائيلي حدائد مدببة لتعوق تدخل سيارات الثوار، فكانّ ضحيتها أهل مخيم البرج

---

1 ـ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 251.

2 ـ المصدر نفسه ، ص252 و 253.

3 ـ المصدر نفسه ، ص 294.

4 ـ المصدر نفسه ، ص295.

نساءه ورجاله ومن بينهم أم سعد. هذا الوضع جعلهم لا يعرفون ماذا يتعين عليهم أن يفعلوا وجعلهم يحسون بعدم الأمان وكان نتيجة ذلك النفسية المتوترة الحائرة الباحثة عن العمل الصائب الذي يجدي نفعا للخروج من هذه الحياة البائسة.

هذا فيما يخص العنف السياسي الإرهابي والعسكري الذي مورس على الشعب الفلسطيني وعلى أهل مخيم البرج ومن بينّهم أم سعد. هذا العنف كان سببا في تدهور الأوضاع الاجتماعية للإنسان الفلسطيني حيث ظهرت الطبقية؛ فالأغنياء يعيشون حياة الترف المطبوعة بالخيانة، خيانة قضيتهم من أجل سلامة أجسادهم وتحقيق أحلامهم. أمّا الطبقة الفقيرة فكانت تعيش الذل والقهر والفقر الذي نخع أجسادهم، لكنّهم آمنوا بقضيتهم، فكانوا وقودا للثورة كما قال عنهم غسان.

هذه الأوضاع المزرية هي عنف اجتماعي عانت منه أم سعد، ففي اللوحة الثالثة المعنونة باسم "المطر والرجل والوحل" تظهر لنا معاناتها، ففي صباح الثلاثاء ذهبت أم سعد إلى بيت الراوي وهي تقطر بماء كان شعرها مبتلا وينقط على وجهها، فيبدو وكأنّه تراب مسقي، لأنّ المخيم طاف في الليل بسبب نزول المطر، فهاهي تحكي أو تقص للراوي معاناتها ومعاناة أهل المخيم "لقد بكينا كثيرا، كثيرا... بكينا أكثر مما طافت المياه في المخيم... صرت امرأة عجوز، صرت أتعب أمضيت كلّ الليل غارقة في الوحل والماء ، عشرون سنة...".[1]

لقد أمضت "أم سعد" و"أهل المخيم" الليل كلّه في الوحل وفي تنظيف المخيم من ذلك الوحل، عشرون سنة وهي تعاني الفقر، وهذه المعاناة سببها طردهم من بلادهم ولجوءهم إلى مخيمات لبنان.

وهذه المعاناة والأوضاع المزرية التي تعيشها "أم سعد" كان لها أثر على نفسيتها حيث تقول:" ماذا أقول يا ابن عمي؟ في الليل أحسست بأنّني قريبة من النهاية...ما

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 270.

النفع؟ أريد أن أعيش حتى أراها،لا أريد أن أموت هنا، في الوحل ووسخ المطابخ...."[1].

هي آهات "أم سعد"، هي أحلامها التي تأنّ أنينا، تريد العيش بسلام تريد أن تحيا حياة جديدة ، أن تحلم بغد أفضل، وكأنّها تقول سئمت من معاناة الفقر والوحل. هذا الوحل الذي سيدفنها ذات ليلة.

كما نجد موقفا آخر يبرز فيه العنف الاجتماعي الطبقي في استغلال الناطور لأم سعد التي حلّت محل المرأة اللبنانية الفقيرة في العمل ، فقد طرد صاحب العمارة عاملة النظافة لأنّها تتقاضى سبع ليرات ووظف أم سعد مكانها بخمس ليرات من أجل توفير ليرتين فقط ، لا لشيء سوى أن أم سعد محتاجة إلى عمل فهي فقيرة تكدّ من أجل توفير لقمة العيش لأولادها تقول أم سعد:" قال لي–الناطور–في المرة السابقة أن شغل المرأة تلك لا يعجبهم، وأنّ شغلي أحسن، ولكنهم كاذبون، وأنا أعرف أنّهم يريدون توفير ليرتين"[2].وهذا العنف ممارس ضدّ "المرأة اللبنانية الفقيرة" التي طردها الناطور من عملها لتوفير ليرتين ،وهو ممارس على أم سعد كذلك لأنّها محتاجة ، فكلاهما يمثلان الطبقة الفقيرة المعدّمة المستغلة من طرف الطبقة البرجوازية. وحينما تتذكر أم سعد هذه القصة يهتز بدنّها كلّه وتكاد تبكي لحالها ولحال أمثالها من المعدمين، فأصحاب الطبقة البرجوازية تقول :"يريدون ضربنا ببغضنا نحن المشحرين كي يربحوا ليرتين"[3] كما تقول أم سعد.

وأبسط مثال عن هذا العنف هو ما تعانيه "أم سعد" أثناء عملها في البناية حيث تشطف الدرج والمدخل من فوق من السابع أو الثامن، كان الصعود صعبا عليها، فوعدها الناطور بأن تطلع بالأسانسير خفية عن صاحب العمارة ، فالأسانسير يطلع فيه

1ـ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص271.

2– المصدر نفسه ، ص318 و319.

3– المصدر نفسه ، ص 319.

الأغنياء والوجهاء لا غير. وكأنّه مصنوع لهم فقط ، والخدم لا يستطيعون استعماله. فالخدم هم الخدم لا اعتبار لهم.

وهذا الوضع الاجتماعي الذي يعاني منه أصحاب المخيم اللاجئين وخاصة أم سعد كان له أثر على حياتهم، فزادهم من المعاناة الكثير ومن أنين الأحلام الكثير الكثير، ولذا جاءت نفسيتهم متعبة أحيانا من القهر والذل، وأحيانا يتغلبون عن هذه الحياة الظالمة بآمالهم وأحلامهم ساعين إلى تحقيقها.

وفي بحثي هذا سأركز على الجانب السلبي الذي يظهر جليا في العنف النفسي . هذا الأخير الذي يمارس ضدّ المرأة بهدف التحكم فيها وفي قراراتها.

يظهر هذا العنف جليا في اللوحة الثانية من الرواية التي تحمل اسم "خيمة عن خيمة تفرق" حيث تعاني أم سعد – والتي تمثل نموذج المرأة التي تتمحور عليها دراستي– لفراق ابنها "سعد"، وحيرتها وقلقها عليه، واشتياقها له.

وفي هذا المقطع تظهر لنا حيرة "أم سعد" على ابنها الذي انظم إلى الفدائيين من خلال مشاعر الأمومة، حيث تقول:" قلت لها إنّني أحبه وسأشتاق له... والطعام؟ يأكلون كفاية... يا نور عيني أمه ! أودّ لو كان قريبا فأحمل له كل يوم طعامه من صنع يدي"[1]. هي مشاعر الأم التي مزقت قلب أم سعد وحيرت أمرها وجعلتها تعيش في دوامة من الأسئلة: هل أكل سعد؟ "أتراك تستطيع–كلام وجهته للراوي– أن توصي رئيسه به"[2] ، هل نام جيدا؟ وهل استطاع أن يتدبر أمره؟ .

كلها أسئلة جعلت أم سعد متوترة على الدوام، لذلك أعتبر عنفا، فإبعاد الأم عن ابنها يعتبر عنفا، والعنف الذي يمارس على الابن تتأثر به هذه الأخيرة أضعاف ما

1 ـ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص264.

2 ـ المصدر نفسه ، ص 265.

يتأثر به الابن. كما نجد في اللوحة السادسة "أم سعد" تعاني من التوتر والقلق الذي أصابها إثر معرفتها هذا الأخير.

الذي قرر كما تقول "أم سعد " إن حاول أهله–أهل ليث ــ الكتابة لابن عمهم عبد المولى، فما على سعد إلاّ أن يطخهم".[1] وأم سعد تعرف ابنها جيدا إذا قرر أمر فسينفذه، وإذا قدر أن يقتل أهل ليث فسيفعل. وابن عم أهل ليث عبد المولى هو من الطبقة البرجوازية الخائنة للقضية الفلسطينية.

هذه الرسالة وما تحمله من قرارات جعلت "أم سعد" تعيش عنفا نفسيا، متوترة تفكر كثيرا في النتيجة خائفة من أن تتكرر أحداث ثورة 1936 حين قتل فضل. هذا التفكير أتعب أم سعد "ذلك الشيء لا يستطيع الإنسان أن يفعله بسهولة، ومنذ ليلة أمس وأنا كمن يحمل على ظهره كيس بلان".[2]

كما نجد هذا العنف النفسي الضّمني في الضغط الذي تعانيه أم سعد، ذلك الاستجواب الذي يحدث لها كل صباح من طرف الأفندي، هذا الأخير يبحث عن سعد، ولم يجد غير أم سعد يضغط عليها لمعرفة مكان ابنها "وكان قد اعتاد أن يمرّ عليها كل يوم في أبكر الصبح"[3].إذا أم سعد تعيش كل صباح عنفا نفسيا، وضغطا في محاولة إجبارها عن البوح بما يريد الأفندي.

وهاهو أبو سعد الغائب في اللوحات السابقة يظهر لنا في اللوحة التاسعة والأخيرة، هذا الرجل يعاني من الحياة البائسة التعيسة. وضعه هذا جعله يؤذي كل من حوله ومن بينهم زوجته أم سعد:" الفقر يا ابن العم الفقر، الفقر يجعل الملاك شيطانا ويجعل الشيطان ملاكا، ما كان لوسع أبو سعد أن يفعل غير أن يترك خلقه يطلع ويفشه

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 305.

[2]– المصدر نفسه ، ص306.

[3]– المصدر نفسه ، ص 323.

بالناس وبي؟"[1] بوصفها الأنثى الضحية إذا معاناة أبو سعد أثرّت على أم سعد. هذه الأخيرة التي عانت معه فكان فضا معها، وفي الصباح يتركها تحضر أشياءها الفقيرة لتمضي إلى شغلها تحت سياط نظرات خانقة لا تفسر، وفي المساء يطلب طعامه بسؤال فظ. لكن أم سعد صبرت وعملت من أجل توفير لقمة العيش، فلم تخضع لتلك الحياة البائسة وحاربت بما تملك من أجل تغيير وضعها وكان لها ما أرادت ، ويظهر ذلك التغيير في اللوحة الأخيرة حيث تغيرت ملامح الخيمة . هذه الأخيرة التي تحولت من خيمة اللاجئين إلى خيمة الفدائيين ، كما تغير أبو سعد بعدما كان محبطا غير مبال بأولاده وزوجته ، فأصبح يهتم بأمور الثورة و يفتخر بابنه سعد الفدائي و ابنه الصغير سعيد الذي يتدرب على حمل السلاح.

كما عانت بطلة رواية أم سعد من احتيال الشيخ عليها، هذا الأخير صنع لها حجابا وجعلها تؤمن بأنّ الحجاب سييسر لها أمرها ويكون سببا في سعادتها، تقول أم سعد:" ذلك رجل دجال بلا شك، حجاب؟ إنّني أعلقه منذ كان عمري عشر سنين، ظللنا فقراء، وظللنا نهترئ بالشغل، وتشردنا، وعشنا هنا (أي في المخيم كلاجئين) عشرين عاما"[2]. عشرين عاما وأم سعد تؤمن بفكرة خاطئة، تؤمن بأنّ الحجاب سيحميها وسيغير حالتها وحالة الفلسطينيين اللاجئين، ولكنّها في الأخير استوعبت وأدركت بأنّ الحجاب الجديد هو الحجاب الذي سينفعها وسيعطيها نتيجة.

الحجاب هو الإيمان بالقضية الفلسطينية، والعمل من أجل نيل هذه القضية والفوز بالحرية، وفي محاولة تغيير أفكارها، وأن ّما أخذ بالقوة والغضب لا يسترد إلا بالقوة.

وأخيرا سأتطرق للعنف الجسدي الذي ورد قليلا في هذه الرواية، ونجده بالضبط في اللوحة الخامسة المعنونة بـــ :" الذين هربوا والذين تقدموا" حين ألقت طائرة العدو

---

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 335.

[2]– المصدر نفسه ، ص 326.

حدائد معدنية على أهل مخيم البرج، فقام هؤلاء- يعني أهل المخيم- بجمع هذه الحدائد، ومن بينهم أم سعد التي قالت:" لقد أمضيت ليلة أمس الأول ألمّ عن الأرض قطعا حادة من المعدن"[1] . هذه القطع كانت سببا في إصابتها ، و بعد الانتهاء من ذلك العمل عادت أم سعد:" ففرشت راحتيها أمامي ــ يقول الراوي ــ كانت الجروح تمتد فوق خشونتها أنهرا حمراء جافة "[2]

هذا العنف الإرهابي الذي قام به الجيش الإسرائيلي ضد الفدائيين خاصة و الفلسطيني عامة ، تسبب في إصابة أم سعد بجروح ، هذه الجروح التي شبهها الراوي بالأنهر من شدة سيلان الدم، عنف ضد أم سعد لأنّها تمثل الفلسطيني المناضل المقاوم من أجل الحرية ومن أجل البقاء. لكنّ هذه الجروح لم تأثر في عزيمة أم سعد بل اعتبرتها جروحا بسيطة مقارنة بما تعيشه كل يوم من تعب ومعاناة وألم بعيدة عن أرضها ووطنها.وهذا النوع من العنف هو أكثر أشكال العنف وضوحا، حيث استخدمت فيه حدائد معدنية ، هذه الأخيرة تركت آثارا واضحة حمراء الخيوط من الجروح لم تلتئم بعد.

كما نجد العنف الجسدي في اللوحة السادسة "الرسالة التي وصلت بعد 32 سنة"، وهذا العنف يتمثل في أبشع أشكال العنف الجسدي وهو القتل ، "فعبد المولى" ابن عم أهل ليث ينتمي إلى الطبقة البرجوازية ؛ هو خائن يعمل في البرلمان الإسرائيلي، هذا الرجل الخائن قتل "فضل" ذلك الفدائي، وأم سعد متأكدة بأنّ عبد المولى هو الذي قتل فضل لكنّها لا تعلم الطريقة التي قتل بها:" بعضهم يقول أنّه مات مسلولا في المعصرة، وبعضهم ... وقع في الوادي، وبعضهم يقول... قتل في حرب الــ 48 ، وبعضهم... قتلوه في الطريق"[3] المهم أنّه قتل.

---

[1]- غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 279.

[2]- المصدر نفسه ، ص 293.

[3] - المصدر نفسه ، ص 308- 309.

صحيح أنّ القتل لم يكن موجها لأم سعد التي تمثل المرأة في بحثي هذا ولكن هذا العنف الذي مورس على فضل، كان له أثرا على نفسية أم سعد وجعلها تتوتر كلما تذكرت هذه القصة.

ومما تقدم يمكن القول بأنّ "رواية أم سعد" تعددت أشكال العنف فيها، وميزّها العنف السياسي الإرهابي الممارس ضدّ الإنسان الفلسطيني عموما والمرأة الفلسطينية خصوصا، فهي تعاني العنف الأسري والعنف الاجتماعي من جهة، والعنف السياسي (الاحتلال) من جهة أخرى. والآن سأتطرق إلى نقطة أخرى في بحثي هذا وهي كيف تتحدى المرأة هذا العنف وتجعله نقطة انطلاق لتحقيق ذاتها وأحلامها.

المبحث الثالث : (المرأة / العنف) في رواية " أم سعد " تحدّ و إصرار

استطاع "غسان كنفاني" أديب المعاناة وصاحب القضية أن يقدم لنا رواية رائعة من خلال انسجام شخوصها بأحداثها الزاخرة و التي كانت الثورة و الكفاح المسلح محورا لها ، لكن القصة مازالت مستمرة فرواية" أم سعد" ذوي نهاية مفتوحة ، فالعقد كثيرة ليس فقط في "رواية أم سعد" بل في كلّ يوم و لحظة من أيام فلسطين المجروحة.

هذه الرواية تحكي عن "أم سعد" المرأة الفلسطينية التي هجرت من موطنها، والتي عانت الألم والشتات وفقد الأحباب وتقديم الأبناء في سبيل القضية الفلسطينية و في سبيل الأم فلسطين، فكانت بذلك رمز لكل امرأة فلسطينية.

و"أم سعد" في هذه الرواية خير مثال لكل أم مازالت صامدة رغم المعانات و الجراح، أم قدمت فلذات أكبادها للوطن لأنّه الأم الرءوم، وهي أم سعد تقول:" قلت لجارتي هذا الصباح، أودّ لو كان عندي مثله عشرة، أنا متعبة يا ابن عمي، اهترأ عمري في ذلك المخيم، كل مساء أقول يا رب !، وكل صباح أقول يا رب... ! وها قد مرت عشرون سنة، وإذا لم يذهب سعد فمن سيذهب"[1]. هذه المرأة تعي بشكل عفوي أنّ الثورة هي السبيل الوحيد للخلاص من كل أنواع الذلّ و العفن ، لذا يجب على الجميع أن يشارك كما ترى أم سعد بما يستطيع حتى لو تطلب الأمر أن يرسل الشخص أغلى ما يملكه هو فلذت كبدها هو ابنها "سعد".

"أم سعد" تعبت فتعبها تشهده السنون وتؤكده أحداث الرواية من أول حدث إلى آخر حدث شملته الرواية ، فهي إنسانة بسيطة إلاّ أنّها صمدت لتتحمل ما لم يتحمله الآخرون من الطبقة البرجوازية كأمثال: الأفندي و المختار و صاحب العمارة و غيرهم ممن باعوا الوطن من أجل حياة الرغد و هي عند "أم سعد" حياة الذلّ ، و لم تكن "أم سعد" مثقفة كي تحارب بقلمها وفي نفس الوقت لا تستطيع حمل السلاح ، الشيء الوحيد الذي

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد"، ص 263.

استطاعت أن تقدمه هو ابنها، هذه هي طريقة "أم سعد" في توقيع مشاركتها للانضمام في النضال من أجل نيل الحرية ، تقول "أم سعد" للكاتب:" أنت تكتب رأيك وأنا لا أعرف الكتابة، ولكنني أرسلت ابني إلى هناك، قلت بذلك ما تقوله أنت، أليس كذلك"[1]. هنا "أم سعد" ترفض الخضوع وتقدم ابنها في سبيل العودة إلى الوطن البعيد الذي تفتقده.و تحلم بالعودة إلى دياره.

إذا "غسان كنفاني" في هذه الرواية أضاف إلى شخصية الأم الكثير، إذ حولتها من أم تضحي بابنها من أجل فلسطين، إلى أم تحقق ذاتها من خلال هذه التضحية هذا الأمر الذي دفع رفيقة البحوري، كما يقول "يوسف حطيني" في كتابه "مكونات السرد في الرواية الفلسطينية" إلى إعطاء سمة الملحمية لأم سعد إذ قالت:" إنّ الشخصية الملحمية تنشأ من توازن التأثير المتبادل بين الجزء والكل، وليس من التفكير في الذات المنعزلة... إنّ صورة أم سعد تختلف جوهريا عن صورة الأم المتألمة التي تضحي بابنها، لأنّ نضال سعد ليس تضحية بل تحقيقا لذاتها"[2].

وهنا "غسان" أو الكاتب جرّد "أم سعد" من مشاعر الأمومة، ولكنّ إيمانها بالقضية الفلسطينية وأملها في الخروج من هذه المعاناة جعلها تقرر ذلك.

هكذا تحدّت "أم سعد" واقعها المرير بإرسال فلذة كبدها إلى الثورة، وإلى النضال من أجل العودة للوطن الذي يمثل الأمل والحرية لها ، كما تحدّت أم سعد الأشكال المختلفة من العنف بالأمل، الأمل في غد أفضل و الأمل في العودة إلى ديار الوطن والعيش في كنف حياة ملئها السعادة والاستقرار حيث نجدها في اللوحة الأولى تزرع ذلك البرعم أو عود الدالية اليابس بإشراقه أمل أمام بيت الراوي وهذا تعبير عن النظرة إلى المستقبل ، وكأن "أم سعد" تقول أنّ المستقبل آت لا بدّ أن نحياه ونحضر له بالعمل والجهد ، و"أم سعد" كان أملها هو سعد ابنها ، يقول الراوي مؤكدا ذلك:"وأخذت لبرهة

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص271.

[2]– يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، ص 40.

تفكر، أحسته(سعد) في جسدها كما كان يوم أن يولد، يرجها بمشاعر لا تستطيع أن تعرف طبيعتها، يملؤها بنوع مذهل من الثقة بالمستقبل ومن الأمل فيه".[1]

الأمل هو سلاح "أم سعد" في تحدّيها للعنف وإيمانها بقضيتها جعلها تصل إلى ما تصبوا إليه، حيث يقدم غسان كنفاني في نهاية الرواية التحول الإيجابي في حياة "أم سعد" والمخيم بسبب الانتماء إلى الكفاح المسلح و الاختيار النهائي من أجل المستقبل ، هذا المخيم الجديد (الخيمة الأخرى: خيمة الفدائي) الذي تبرز الأشياء فيه مندمجة في شخصية أم سعد. فها هو "أبو سعد" يذوب في شخصية أم سعد و يعلن عن اختيار الكفاح المسلح.إذا اللوحة الأخيرة تغير كل شيء ، وهذا ما تؤكده أم سعد في قولها : "أما الآن فقد تغير كل شيء".[2]

وأمام هذا التحول والتغير الذي عرفه المخيم نرى الألم و الحزن و الشتات يتحول إلى ابتسامة وزغردة و أمل ، حيث تتحول الدالية إلى دالية مبرعمة بعد ما كانت عود بنيا يابسا، فالرأس الأخضر كان يشق التراب بعنفوان له صوت، قالت أم سعد:" برعمت الدالية يا بن ابن العم برعمت !".[3]

هكذا ضحت "أم سعد" لتتجاوز ذلك الواقع المرير تسلحت بالأمل وآمنت بالقضية الفلسطينية، هذا الأمل الممزوج بالتضحية كان سببا في تبدد الصورة البائسة لفضاء المخيم البرج، حيث تحولت مخيمات اللجوء والتشرد إلى معسكرات للتدريب وقواعد للفدائيين، تمثلت في تلك الخيمة الجديدة التي تعقد أم سعد عليها كل الآمال والرجاء، وتنظر إليها بإعجاب وإجلال بعد أن انتظرت عشرين عاما، وبذلت الكثير، وأعطت بسخاء،لترفع بنيانها وترسخ دعائمها في نفوس أبنائها وأبناء فلسطين .

---

[1]– غسان كنفاني ، الآثار الكاملة "أم سعد" ، ص 296.

[2]– المصدر نفسه ، ص 331.

[3]– المصدر نفسه ، ص331.

هذه هي "أم سعد" المرأة التي تلد الأولاد فيصيروا فدائيين، هي تخلف وفلسطين تأخذ، هي نموذج المرأة الفلسطينية المكافحة.

خاتمة

خاتمـــــــة:

و في ختام دراستي هذه ، تمّ الوصول إلى نتائج و إجابات لتساؤلات كانت في بداية البحث و هي بدورها تعدّ مشروعا آخر لبحوث أخرى تبحث في أدب الرواية و النص الروائي :

1 ــ لقد تعددت مفاهيم العنف و ذلك لتعدد الدراسات و التخصصات التي تطرقت لهذا المصطلح فهناك علم النفس ، علم الاجتماع ، و القانون و السياسة .

2 ــ لقد عالج الروائي العربي ظاهرة العنف ضدّ المرأة في نصوصه السردية فكانت موضوعا لها ، و من خلال هذه النصوص حاول الكتاب العرب المعاصرين توعية القرّاء للحدّ من هذه الظاهرة .

3 ــ كان الروائي العربي متحاملا على المرأة في أعماله السردية أحيانا و مدافعا عنها في أحيان أخرى .

4 ــ للعنف أثر سلبي على نفسية المرأة ،و هذا ما بينّته النصوص السردية العربية الحديثة فكان الانتحار و التشرد و القتل ــ قتل الآخر ــ نتاج هذا النوع من العنف.

5 ــ في الأعمال الروائية العربية تعددت النماذج النسوية منها : المرأة النمطية ، الثورية ،و المثقفة و المرأة الانتقائية الإيجابية و السلبية ، و المتزوجة.....الخ .

6 ــ لقد تغيرت صور النساء ــ صورة المرأة ــ نتيجة لمتغيرات اجتماعية ، فالرواية هي نتاج الواقع المعيش .

7 ــ في الأعمال السردية الذكورية طغت الصورة التقليدية للمرأة الضحية و الضعيفة، لكن في أعمال أخرى كأعمال نجيب محفوظ و حنا مينة ظهرت المرأة الجديدة التي تحمل صورة إيجابية ؛ فجاءت عاملة ،و طالبة و مناضلة تشارك الرجل في مسيرته الحياتية ، و الرواية النسائية ركزت فيها المرأة على صورة السلبية للرجل المتسلط.

8 ــ غسان كنفاني صاحب القضية جعل من كتاباته محرضا للشعب الفلسطيني حيث واكبت أعماله تاريخ القضية الفلسطينية.

9 ــ جاءت المرأة في الرواية الفلسطينية قوية ، ثورية و مناضلة على الرغم مما تعانيه من آلام و قهر و عدم استقرار، حيث جعلت قضيتها الأسمى هي نيل الحرية و العيش في كنف الأم الرءوم فلسطين .

10 ــ رواية "أم سعد" هي رواية المرأة بامتياز ، فقد تعددت النماذج النسوية فيها ؛ وجدت المرأة الثورية المناضلة، و المرأة العاملة من أجل توفير لقمة العيش لأولادها و هناك الأم الشاملة في حبها لأبناء فلسطين ، و هناك المرأة التقليدية ، و أهم نموذج هو بطلة الرواية التي تحمل اسمها .

11 ــ تعددت أشكال العنف الممارس ضدّ المرأة في رواية "أم سعد "، لكن العنف السياسي العسكري و الإرهابي الممارس ضدّ الإنسان الفلسطيني عموما و المرأة الفلسطينية على وجه الخصوص غلب في هذه الرواية .

12 ــ لقد تحدت أم سعد الأشكال المتنوعة من العنف بالأمل في غد أفضل و العودة إلى ديار الوطن ، و بالتضحية ؛ حيث ضحت أم سعد بفلذات كبدها الواحد تلو الآخر، و شجعت سعد على الانضمام إلى الكفاح المسلح ، و زرعت في نفس سعيد الروح الثورية ، و غيّرت تلك الخيمة التي تعيش فيها من خيمة للاجئين إلى خيمة للفدائيين الثوّار و المناضلين من أجل القضية الوطنية .

13 ــ لقد مثلت بطلة رواية "أم سعد" المرأة الفلسطينية المناضلة من أجل القضية الوطنية و المؤمنة بالكفاح المسلح من أجل نيل هذه القضية ، فعلى الرغم من بساطة هذه المرأة إلاّ أنّها واعية بالقضية ، و قضيتها هي قضية المرأة الفلسطينية عموما و قضية كلّ إنسان عربي ألا و هي القضية الفلسطينية .

الملاحق

الملحق :

أولا : غسان كنفاني في سيرته الذاتية :

غسان كنفاني هو ذلك الأديب الثائر والمناضل من أجل القضية الفلسطينية، ولد في عكا بفلسطين في التاسع من نيسان (أفريل) عام 1936، سنة أول ثورة كبرى ضد الاستعمار في عكا "المدينة التاريخية المعروفة بحصانتها وتمرس أسوارها والتي تقع في الجزء الشمالي من فلسطين".[1]

و هو من أسرة ميسورة الحال وأب يعمل محاميا في مدينة يافا ، شهد غسان نكبة 1948 واحتلال فلسطين وضياعها، وحين هاجمت العصابات الصهيونية عكا رحلت أسرته إلى يافا أولا ثم صيدا في لبنان، ثم إلى سوريا (دمشق) "هذه الفترة قاسية جدا ، يمثلها غسان في قصته أرض البرتقال الحزين ، ولعلها مرحلة تطيّر منها أكثر من كاتب فلسطيني وشاعر، فمحمود درويش سماها الجبنة الصفراء ".[2] .

وفي دمشق أتّم غسان كنفاني دراسته الابتدائية والإعدادية، عمل مدرسا في إحدى المدارس الابتدائية التابعة لوكالة الغوث سنة 1953. ساعده هذا العمل على إتمام المرحلة الثانوية حتى حصل على البكالوريا ، وبالفعل انتسب إلى جامعة دمشق حيث قضى ثلاث سنوات فصل بعدها يقول غسان كنفاني:" حين وصلت إلى السنة الثالثة في كلية الآداب حالت نشاطاتي السياسية في منطقة مضطربة على الدوام دون دخولي إلى سوريا"[3] .

ثم انتقل إلى الكويت عام 1965 حيث عمل مدرسا للرسم والرياضة، وهناك التقى بالشاعر العراقي السيّاب، وكتب مجموعته القصصية الثانية "يعتبر غسان في هذه

1_ حيدر بيضون توفيق ن غسان كنفاني الكلمة و الجرح ،ص12.

2-المرجع نفسه، ص12.

3_ صبحية عودة زعرب ، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص12.

المرحلة نموذجا رائعا من ضمن النماذج التي... تعتبرالعذاب والمنفى والمعاناة أقانيم لابدّ من استيعابها للسفر في المستقبل".[1] وظل أربع سنوات في الكويت خلالها بدأ يثقف نفسه بالقراءة الكثيرة المتنوعة التي تفتح وعيه ليكون مثقفا واعيا.

وبعدهاعاد إلى دمشق ثم إلى بيروت حيث عمل محررا ثم رئيس تحرير لأكثر من صحيفة لبنانية وأصبح عضوا بارزا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إضافة إلى عمله الصحفي مارس الكتابة الأدبية فكتب قصصا قصيرة، ومسرحيات وروايات.

ولأنّه مناضل وقف ضد الاحتلال الصهيوني في نشاطه السياسي والفكري والأدبي قامت عصابات إسرائيلية باغتياله في الثامن من جويلية 1972.

تقول زوجته:" بعد دقيقتين من مغادرة غسان ولميس البيت ، سمعنا انفجارا رهيبا... تحطمت نوافذ البيت... نزلت السلم... وجدنا لميس على بعد بضعة أمتار... ولم نجد غسان... ثم اكتشفت ساقه اليسرى"[2]. لقد اغتيل الشهيد غسان بأبشع الطرق قتل لأنّه دافع عن القضية الفلسطينية، فخرجت الجماهير الفلسطينية واللبنانية من سكان المخيمات في جنازة احتفالية مهيبة ودفن ما جمع من جسده الملفوف بالعلم الفلسطيني في مقبرة الشهداء.

ترك غسان كنفاني كما هائلا من المقالات الأدبية والسياسية والدراسات النقدية "المبعثرة في الدوريات "[3]. فضلا عن المؤلفات الأدبية التالية:

أ-الروايات:

1-رجال في الشمس: 1963.

2-ما تبقى لكم: 1966.

1ـحيدر توفيق بيضون ، غسان كنفاني الكلمة والجرح ، ص15.

2ـ صبحية عودة زعرب ، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص17 .

3ـالمرجع نفسه ، ص17.

3-أم سعد: 1969.

4-عائد إلى حيفا: 1969.

5-العاشق: لم تكتمل.

6-الأعمى والأطرش: لم تكتمل.

7-برقوق نسيان: لم تكتمل.

8-الشيء الآخر(من قتل ليلى الحايك): 1980.

ب-القصص القصيرة:

1-موت سرير رقم 12: مجموعة قصصية تضم سبع عشرة قصة 1961م.

2-أرض البرتقال الحزين: تضم ثماني قصص 1963م.

3-عالم ليس لنا: تضم خمس عشر قصة 1965م

4-الرجال والبنادق: تضم ثماني قصص 1968م.

5-المدفع: تضم ثماني قصص كانت مبعثرة في الدوريات

ج-المسرحيات:

1-الباب: 1964م.

2-القبعة والنبي: 1966م.

3-جسر إلى الأبد: لم تنشر.

د-الدراسات الأدبية:

1-ثلاث دراسات في أدب المقاومة في فلسطين المحتلة.

2-في الأدب الصهيوني.

و في هذه الدراسة ركزت على واحدة من روايته، وهي رواية أم سعد التي تحكي معاناة اللاجئين ، وغسان كنفاني كان في يوم من الأيام لاجئا ، وتعلم من الظروف التي عاشها وقال عن الأرض والبنادق والأوراق :" كلها أشياء أدافع بها عن نفسي"[1].

1_أمل العلامة وآخرون ، الأم في روايات غسان كنفاني ، ص4.

ثانيا: ملخص رواية " أم سعد ":

كتبت رواية "أم سعد" سنة 1969 أي بعد نكسة حزيران بسنتين، فجاءت لتصور مظاهر انعكاس الهزيمة على الجماهير الفلسطينية البعيدة عن أرضها و التي تعيش في مخيمات الذلّ و الحرمان.

يقول "عزيز الماضي" في كتابه "الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين" :" أم سعد لغسان كنفاني تصور أثر الهزيمة في الجماهير الفلسطينية البعيدة عن أرضها و القابعة في مخيمات التشرد و العذاب...الهزيمة في أم سعد قد غيرت علاقات الناس و بدلت نفسيا تهم من خلال تعاملهم المباشر مع نقيضها الإيجابي المقاومة المسلحة"[1]. فهذه الرواية نجدها تستلهم الروح الإيجابية على عكس كل الأعمال الأدبية التي راحت تحاكي المرحلة السوداوية القاتمة في حياة الشعب العربي.

ويرى حسان رشاد الشامي:" بأنّها رواية التحولات و التغيرات الإيجابية التي شهدتها الساحة الفلسطينية عقب نكسة حزيران عام 1967 في مخيمات بيروت"[2].هذه المخيمات التي أصبح الفلسطيني اللاجئ فيها فدائيا، بعد أن كسر طوق الصمت والعجز و الانتظار ضربت الثورة جذورها في نفوس أبناء الطبقة الشعبية الكادحة. وهذا ما أكدّه "حيدر توفيق بيضون" في كتابه "غسان كنفني الكلمة والجرح" مقدمتها رؤية وراح يتكلم عن تلك الطبقة المسحوقة "[3].

1_شكري عزيز الماضي ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين ، ص261.

2 _ حسان رشاد الشامي ، المرأة العربية الفلسطينية ، ص191 .

3_حيدر تو فيق بيضون ، غسان كنفاني الكلمة و الجرح ، ص 101 .

بين البداية و النهاية يرتب المؤلف فصوله التسعة مقسما الحكاية فيهاإلى الفضاءات أو المجموعات التالية:

1 ــ **فضاءات المخيم بعد الهزيمة:** ويضم الفصولالتالية:

أ ــ أم سعد و الحرب التي انتهت .

ب ــ خيمة عن خيمة تفرق

ج ــ المطر و الرجل و الوحل

2 ــ فضاء فلسطين المحتلة : و يضم الفصول التالية :

أ ــ في قلب الدرع

ب ــ الذين هربوا و الذين تقدموا

ج ــ الرسالة التي وصلت بعد 32 سنة .

3 ــ فضاء المخيم الجديد :و يضم الفصول التالية:

أ ــ الناطور و ليرتان فقط .

ب ــ أم سعد تحصل على حجاب جديد .

ج ــ البنادق في المخيم [1] .

إذا جعل غسان كنفاني مجريات الرواية في تسع لوحات، كانت بأكملها عبارة عن

1-عمر المراكشي ، أم سعد والجسر المفتوح ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ، العدد 05 ، فارس– المغرب : 1991 ، ص 67 و68 .

مذكرات أم سعد تناولت تسعة أيام منتقاة من حياتها.

و نلخصها فيما يلي :

ــ **اللوحة الأولى** : "**أم سعد و الحرب التي انتهت** ": و فيها تزور أم سعد الكاتب أو الراوي أو ابن العم للمرة الأولى بعد حرب حزيران 1967 ومن عادتها أن تنظف بيته و هي تحمل بيدها عرق دالية يبدو يابسا ستزرعه على باب بيته ، و تعلن أم سعد أنّ الحرب بدأت و انتهت بالراديو الرسمي و ترسل ابنها سعد ليقاتل مع الفدائيين .

فأخبرت الراوي باعتقال ابنها سعد عند ما أراد الالتحاق بالفدائيين، كما أخبرته بمحاولة تدخل المختار لإطلاق سراحه و ما ترتب لها عن هذه المحاولة من تذمر و استياء، فهي تعادي و تكره المختار لأنّه يمثل عقبة في وجه الثورة.

ــ **اللوحة الثانية** : " **خيمة عن خيمة تفرق**": هنا تفرق أم سعد بين خيمة البؤس الغارقة في الوحل و الذلّ و القهر في المخيم ، وبين خيمة المعسكر التي يسكنها الفدائيون ، و تتمنى لو تلحق بهم و تنضم إليهم لتخدمهم و تعّد لهم طعامهم ،و لكنها مرتبطة بأطفالها لمخيم لتنفق عليهم .

و تخبر الراوي و بزهو بالتحاق ابنها بالفدائيين ، و قصّت عليه دار بينها وبين امرأة في الباص ، أخبرتها بافتخارها بابنها و تمنت لو أنجبت منه الكثير.

ــ **اللوحة الثالثة:** " **المطر والرجل والوحل**": في هذه اللوحة يهطل المطر على المخيم فيغرق بالوحل، هذا الوحل الذي تعيش فيه منذ عشرين عاما.

فهاهي أم سعد تعود عند الراوي في صباح ماطر باكية لتقصّ عليهما أحدثته لها الأمطار في المخيم ثم حكت للراوي كيف أنّ سعد تسلح بمرينيه ، وأنّه لن يبكي أحدا بعد هذا اليوم وتخبره بسلامة ابنها و أنّه سيهديها سيارة ، فما هو لغز هذه الهدية الثورية؟ و الكاتب يحله عندماّ يستمع إلى المذياع ، إنّ سيارة إسرائيلية عسكرية قد

انفجرت بمن فيها داخل الأرض المحتلة ، و بهذا يفي سعد بوعده لأمه و يقوم بتفجير سيارة العدو.

ــ **اللوحة الرابعة:** " **في قلب الدرع** ": يعود سعد إلى بيته بعد تسعة أشهر وأسبوعان ليضمدّ جراحه ، و تسرد أم سعد هنا اشتباكا حقيقيا بين الفدائيين و إحدى دوريات العدو و كيف أنّ العدو أطبق حصارا و أنّ سعد و رفاقه تمكنوا من الدفاع عن أنفسهم. و كيف استحضر سعد طيف أمه عندما كانت الحاجة ماسة إليها من خلال امرأة قروية فلسطينية أمدّتهم بالطعام في لحظة جوع و أخفت أمرهم و أحسّ فيها أنّها أمه ، لذلك أرسل لأم سعد ألاّ تشتاق له لأنّه باستمرار يراها و على اتصال بها ، إنّها كل امرأة فلسطينية بل إنّ كل امرأة فلسطينية هي أم سعد .

ــ **اللوحة الخامسة :" الذين هربوا و الذين تقدموا** ": يتعرض المخيم لقصف من طائرات العدو ، و تحكي أم سعد و بلون طبقي كيف أنّ سكان ضواحي بيروت ــ أبناء المخيم ــ ّذهبوا جميعا نساء و رجالا ، شيوخا و أطفالا لالتقاط الحدائد المدببة المرمية التي قذفتها الطائرات الإسرائيلية لإعاقة تقدم سيارات الثوار ، و كيف أنّ الأغنياء على العكس من ذلك هربوا تاركين سياراتهم .

ــ **اللوحة السادسة :" الرسالة التي وصلت بعد 32 سنة**" : يقع ليث رفيق سعد في الأسر، تحكي أم سعد عن الرسالة التي بعثها سعد بواسطة أمه لأسرة ليث مهددا إياها و يطلب من أمه منع أهل ليث من توسيط عبد المولى لإطلاق سراح ليث من السجن وهنا تطوف مخيلة أم سعد لتتذكر أحداث ثورة 1936، تتذكر المقاتل القديم فضل الذي قاتل فقتل وعبد المولى الذي خان فوقع تنصيبه نائبا في الكنيست الإسرائيلي .وتجري أم سعد مقارنة بين مقاتل 1936 و مقاتل 1967، و ترى أن الثاني يملك درجة من الوعي أكثر من الأول من حيث أنه لا يقبل تهديد العدو و لا يتنازل بسهولة للاستسلام.

ــ **اللوحة السابعة:" الناطور و ليرتان فقط** ": في هذه اللوحة يلاحظ شكوى أم سعد نفسها، فهي تلاحق الآن من طرف الناطور حارس لإحدى البنايات في بيروت كي تعود إلى تنظيف العمارة التي سبق و إن كانت تنظفها قبلها امرأة لبنانية فقيرة تتقاضى سبع ليرات ، وهو استأجر أم سعد ليوفر على صاحب العمارة ليرتين زائدتينو يكسب رضاه ، فترفض أم سعد أن تأخذ عمل المرأة .

ــ **اللوحة الثامنة :" أم سعد تحصل على حجاب جديد** ": يأتيها رجل المباحث الأفندي (ممثل السلطة اللبنانية) يبحث عن ابنها لتوقيفه عن نشاطه الفدائي ، و يكتشف أنّ أم سعد تعلق في صدرها عقدا غريبا ، هذا العقد هو عبارة عن سلسلة تنتهي برصاصة مدفع رشاش تعلقها على صدرها تقول إنّه حجاب جديدي أهداه إليها سعد .

و استبدلت هذا العقد بالحجاب القديم الذي صنعه لها شيخ أو أحد الدجالين في فلسطين، و رأت أنّ ذلك الحجاب القديم لم يكن إلا مصدرا للبؤس.

ــ **اللوحة التاسعة :" البنادق في المخيم** ": تحمل في هذه اللوحة أم سعد أخبارا متعلقة بالتحول الذي طرأ على المخيم ؛ فقد تغيّر وجه المخيم لم يعد موحلا ، لم بؤرة عفن شتائية و ذلك بسبب أنه أصبح قاعدة للفدائيين ، فيظهر أبناء المخيم وهم يتدربون على القتال و تغير كذلك أبو سعد ؛ فهو قليل التذمر، لم يعد عابسا كالسابق يتأثر بالأحداث الثورية يتكلم عن الثوار يتقصى أخبار الثورة إنّه الآن في جانب إيجابي لم تعد تهمه سفاسف الأمور ، هو الآن فخور بابنه سعيد الشبل وهو يقدم عرضا عسكريا ، و بابنه المقاتل سعد و بأم سعد التي تنجب الفدائيين و ترسلهم إلى فلسطين ، و تنتهي الرواية بقول أم سعد :" برعمت الدالية يا ابن العم برعم "[1].

إنّ عملية التقطيع التي مارستها على الرواية جاءت نتيجة لطابعها الفني الذي كان موضوع اختلاف العديد من الدراسات ، حيث أنّ بعضها عدّها مجموعة قصصية[2]

لغياب الحدث المحوري فيها ــ رواية ــ بينما تناولتها أقلام أخرى على أساس تصنيفها من طرف لجنة تخليد غسان كنفاني ضمن المجموعة الروائية أو النتاج الروائي.[3]

و إذا كانت الرواية تتكون من تسع لوحات ، فإنّ كل لوحة يمكن اعتبارها قصة قصيرة بحد ذاتها و هذا مايؤكده شكري عزيز الماضي بقوله :" أنّ اللوحة الواحدة تتوفر فيها السمات العامة للقصة القصيرة من فورية و انطباعية و بساطة و موقف أحادي ".[4]

إلاّ أنّ الذي يربطها مع باقي اللوحات :أم سعد في حركتها و تنقلاتها ، ابن العم في إنصاته و حواره ، الفدائي سعد من خلال ذاكرة أم سعد ، الأحداث التي تكمل كل لوحة فيها سابقتها تقول "صبحية عودة زعرب" في كتابها "غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي" :" إنّ تلك الأقاصيصأو اللوحات رغم ما يبدو من بناء فني مستقل كل منها،إلاّ أنّ وحدتها وتكاملها تنبع من تلك الروح التي تسري فيها وتربطها معا، خاصة وأن الحوادث والشخصيات تتحرك في بيئة واحدة وتنتظمها نتيجة واحدة "[5].

1-غسان كنفاني ، الآثار الكاملة : الروايات " أم سعد " ، ص336.

2ــ وهم : ف. المنصور ، شؤون فلسطينية و أحمد محمد عطية : في أدب المعركة.

3ــ و هم : رضوى عاشور، أحمد خليفة ، أحمد عطية أبو مطر ، شكري عزيز الماضي و أفنان القاسم.

4ــ شكري عزيز الماضي ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين ، ص61 .

5 ـصبحيةعودة زعرب ، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص145.

و تضيف قائلة :" الخيط الذي ربط اللوحات تمثل في زراعة العود الناشف (الدالية)

من وجهة نظر (أم سعد) في اللوحة الأولى ، ثم امتدّ نموه حتى اللوحة الأخيرة في قولها (برعمت الدالية)، أي المستقبل الثوري المشرق "[1] .

إذا تقوم الرواية على مجموعة من الأحداث التي تتمحور حول الشخصية الأساسية أم سعد،و تتوزع على تسع لوحات ينتظمها خيط دلالي واحد يجمع ما بين استهلالها و نهايتها المفتوحة . هذا الخيط الذي تمثل في عود الدالية اليابس في اللوحة الأولى و الذي برعم في اللوحة الأخيرة كناية عن التشبث بالأرض الطيبة وولادة المقاومة و تفتح الأمل .

و التقطيع في هذه الرواية لا يمس روح الإبداع الفني خاصة و أنّ وحدة العمل القصصي فيه تعتمد على البيئة التي تتحرك فيها القصة ، أو على الشخصية الأولى ، أو على النتيجة التي تنظّم الحوادث و الشخصيات "و هكذا يستطيع الكاتب أن يقدم لنا مجموعة من الحوادث الممتعة التي تقع على شكل حلقات متتابعة لا تنحدر الواحدة منها على الأخرى و لا تتصل إلاّ بذلك الرباط الذي يخفيه الكاتب حتى نكتشفه أخيرا بعد الفراغ من القصة"[2].

أمّا من ناحية الشكل ؛ فقد جاء الشكل الروائي في "أم سعد" ملتحما مع المضمون ،استعمل غسان كنفاني لفظة"لوحات" بدلا من الفصول لأنّها منتقاة من أيام بعينها"لأم سعد"كماقلت سابقا.

1_ صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص146.

2_عمر المراكشي ، أم سعد و الجسر المفتوح ،ص70 .

و هناك من يرجع استخدام غسان لمثل هذا الشكل إلى" أنّ ما فعله غسان في أم سعد هو محاولة لكسر المنطق الفني السائد عن الرواية أولا، و لتقديم تجربة جديدة تراعي منطوق شخصياتها و مستواها الثقافي و موقعهم الطبقي ثانيا، و لسبّر القاع الشعبي الفلسطيني عبر شخصية أم سعد ثالثا "[1].

إنّ لجوء غسان و غيره من الروائيين الفلسطينيين إلى مثل هذا الشكل عائد إلى الواقع، واقع حياة الإنسان الفلسطيني الذي يتميز بالحركية الدائمة و المستجدات اليومية. هذا الواقع نجده في العملية الإبداعية للروائي من خلال طرحه لشخصيات و أحداث جديدة تنسجم مع بعضها البعض ، فالرواية كما قلت سابقا هي نتاج للواقع المعيش . إذا هذا الشكل الروائي الجديد هو نتاج التعامل مع الواقع الحركي "و بما أنّ الشكلالروائي هو مسألة اختيار في النهاية فإنّ الأشكال الجديدة ستكتشف عن أشياء جديدة وعلامات جديدة في الواقع الفعلي "[2].هذا ما جعلنا نشعر بأننّا نخترق جدران المخيم ونعرف عن أم سعد أكثر مما تعرفه هي عن نفسها.

هذا فيما يخص الملخص،ملخص "رواية أم سعد" التي أدرجتها لجنّة تخليد أعمال "غسان كنفاني" ضمن سبع روايات في مجلد الآثارفي مجلد الكاملة والذي يحتوي على سبعة روايات أغلبها تتميز بالنهاية المفتوحة و"رواية أم سعد" واحد من هذه الروايات.

1_نذير جعفر ، عالم غسان كنفاني الروائي ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، العدد 495، 2012 ، ص 195 .

2_ صبحية عودة زعرب ، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص147 .

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:الحديث النبوي الشريف

ثالثا:المصادر:

1ــ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة : الروايات "أم سعد" ، ط$_2$ ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، المجلد الأول ، بيروت : 1972 .

رابعا: المراجع العربية :

1ــ إبراهيم خليل ، في الرواية النسوية العربية ، ط$_1$ ، دار ورد الأردنية للنشر و التوزيع ، عمان : 2007.

2ــ أحمد اليبوري ، في الرواية العربية التكون والانشغال ، ط$_1$ ، شركة النشر و التوزيع المدراس ، الدار البيضاء :2000 .

3ــ إصلاح جاد و آخرون ، النسوية العربية رؤية نقدية ، ط$_1$، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت :2012 .

4ــ أمل العلامة و آخرون ، الأم في روايات غسان كنفاني ، د.ط ، مركز السنابل للدراسات و التراث الشعبي ، الخليل ــ فلسطين : 1998.

5ــ جورج طرابيشي ، رمزية المرأة في الرواية العربية و دراسات أخرى ، د.ط ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت : د.ت.

6ــ حامد أبو أحمد، مسيرة الرواية في مصر قراءة لنماذج مختارة ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 2000.

7ــ حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية 1965ــ1985 ، د.ط ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، بيروت:1998.

8ــ حسين توفيق إبراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، د.ط ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت :1990.

9ــ حسين مناصرة ، قراءات في المنظور السردي ، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت :2003.

10ــ حنان الشيخ ، حكاية زهرة ، ط2 ، دار الآداب ، بيروت : 1989.

11ــ حيدر توفيق بيضون ،غسان كنفاني الكلمة و الجرح ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان: 1990.

12ــ سحر خليفة :

ــ عبّاد الشمس ، د.ط ، درا الفارابي ، بيروت :1980.

ــ باب الساحة ، ط1 ، دار الآداب ، بيروت : 1990.

13ــ سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ط1 ، دار الفراشة للطباعة و النشر ، الكويت :2010.

14ــ سمر المقرن ، نساء المنكر ، ط2 ، دار الساقي ، بيروت :2008.

15ــ شكري عزيز الماضي ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين مع ببلوغرافيا ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ــ الأردن : 2003.

16ــ صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ط2 ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ــ بسكرة : 2009.

17 ــ صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطب الروائي ، ط1، دار مجدلاوي ، عمان : 2006.

18 ــ طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي ، د.ط ، دار الجامعة الجديدة الأزاريطة ــ الإسكندرية : 2007.

19ــ عائشة عبد العزيز الحشر ، رواية سقر ، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت : 2008.

20ــ عباس أبو شامة عبد المحمود ، جرائم العنف و أساليب مواجهتها في الدول العربية ،ط1، مركز الدراسات و البحوث ،جامعة نايف للعلوم الأمنية : 2012.

21ــ عبد الحميد بوزوينة ، نظرية الأدب في ضوء الإسلام (القسم الثاني الأدب و المرأة)، ط1 ، دار البشير للنشر و التوزيع ، عمان ــ الأردن : 1990.

22ــ عرفان محمد حمور ، المرأة و الجمال و الحب في لغة العرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان : 2006.

23ــ غسان كنفاني ، الآثار الكاملة : الروايات "عائد إلى حيفا " ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، المجلد الأول ، بيروت : 1972.

24ــ غيدا عناني ، العنف ضدّ المرأة من النظري إلى التطبيق ، ط1 ، منظمة كفى عنف و استغلال ، لبنان ــ بيروت : د.ت .

25ــ قماشة العليان ، أنثى العنكبوت ، ط3 ، شركة رشاد برس ، بيروت : 2002.

26ــ ليانة بدر ، بوصلة من أجل عباد الشمس ، د.ط ، ابن رشد ، بيروت : 1979.

27 ــ ليلى الأطرش ، امرأة للفصول الخمسة ، ط1 ، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت : 1990.

28 ــ ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ العربي ، د.ط ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق : 1970.

29 ــ محمد الحاج يحي ، العنف ضد المرأة في المجتمع الفلسطيني ، ط1 ، منشورات مفتاح ، فلسطين : 2013.

30 ــ مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د.ط ، المركز الثقافي العربي ، بيروت : 2000.

31 ــ نزيه أبو نضال ، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية و ببليوغرافيا الرواية النسوية العربية ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الأردن : 2004 .

32 ــ وليم الخازن وآخرون ، الأدب النسائي العربي ، ط1 ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت : 2008 .

33 ــ يحي الطاهر عبد الله ، الطوق والأسورة ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 1975 .

34 ــ يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، د.ط ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، بيروت : 1999 .

خامسا : المعاجم :

35 ــ الرازي محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، د.ط ، درا الفكر ، لبنان : 1973.

36 ــ ابن منظورجمال الدين، لسان العرب ، د.ط ، دار صادر ، بيروت : 1986 .

سادسا : المراجع المترجمة :

37 ــ حنة ارندت ، في العنف ، ترجمة : إبراهيم العريس ، ط1، دار الساقي ، بيروت ــ لبنان : 1993 .

38 ــ لويزا شايدولينا ، المرأة العربية و العصر ، ترجمة : شوكت يوسف ، ط1 ، سلسلة الأفكار دار الجيل / دار دمشق للنشر و التوزيع في الأقطار العربية ، بيروت : د.ت .

سابعا : المجلات :

39 ــ سمير حمادة ، غسان كنفاني ثنائية الخروج و العودة "عائد إلى حيفا " ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 495 ، دمشق : 2012 .

40 ــ سعد المغربي ، في سيكولوجية العدوان و العنف ، مجلة علم النفس ، العدد الأول ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة : 1987 .

40 ــ عمر المراكشي ، أم سعد و الجسر المفتوح ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد الخامس ، فارس ــ المغرب : 1991 .

41 ــ مارينا كامارجو أبلو ، هل تغرس جذور العنف في المدرسة ، مجلة مستقبليات العدد الثالث ، المجلد 27 ،1997 .

42 ــ محمد سلامة ، إجرام العنف ، مجلة القانون و الاقتصاد ، السنة الرابعة و الأربعون ، العدد الثالث ، القاهرة : 1974 .

43 ــ نذير جعفر ، عالم غسان كنفاني الروائي ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 495 ، دمشق :2012 .

44 ــ نعيم شريف ، العنف في الأدب الإنساني و لغتنا الدائمة ، مجلة تشرين ، العدد63 ، الجزائر : 2001 .

ثامنا : المنتديات

45ــ عبد الحميد بوخاس ، مؤتمر ظاهرة العنف في اللسان و الأدب ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف ، ميلة ــ الجزائر : يومي 16و17 نوفمبر 2013 .

46 ــ عزاز سامي ، العنف الأسري أضراره و خاطره و نتائجه و حلوله ، منتديات سودانيز أونلاين ، الرياض : 2008/23/03 .

47 ــ فوزية العشماوي ، المرأة في أدب نجيب محفوظ ، منتدى الكتاب العرب ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة : 2013 .

48 ــ ورد الحمام ، ظاهرة العنف و التطرف، منتدى البحوث العلمية و الأدبية و الخطابات و السير الذاتية ، 2010/09/21 .

الصحف :

49 ــ إياد .ع . نصار ، الرواية النسائية العربية إشكاليات التمرد و الوعي و نظرة الآخر ، صحيفة الرأي الأردنية في الملحق الثقافي : 2010/01/22 .

50 ــ سهيلة زين العابدين ، العنف ضد المرأة ، صحيفة المدينة السعودية : مارس 2013 .

الموقع الإلكتروني:

51 ــ منظمة المرأة العربية ، دراسة مسحية للمشروعات المخصصة للمرأة العربية في المجالات الاجتماعية ، فلسطين : أيول 2009 .www.arabwomenorg.org

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: العنف من الدوافع إلى الآثار

المبحث الأول :مفهوم العنف..... 4

المبحث الثاني :أشكال العنف الممارس ضد المرأة..... 17

المبحث الثالث:ظاهرة العنف الممارس ضد المرأة في الرواية العربية الحديثة..... 27

الفصل الثاني : صورة المرأة العربية الفلسطينية في الرواية العربية الحديثة

المبحث الأول: صورة المرأة في الرواية العربية..... 39

المبحث الثاني: المرأة الفلسطينية بين الواقع و الطموح..... 48

المبحث الثالث : صورة المرأة في الرواية الفلسطينية..... 51

الفصل الثالث :دراسة تطبيقية في رواية "أم سعد" لـــ:غسان كنفاني

المبحث الأول: صورة المرأة في رواية "أم سعد"..... 65

المبحث الثاني: العنف في رواية "أم سعد"..... 77

المبحث الثالث : (المرأة /العنف) في رواية "أم سعد" تحدّ و إصرار 87

الخاتـــــــمة..... 90

الملحـــــــق..... 94

فهرس المصادر و المراجع..... 106

فهرس الموضوعات..... 113

تم بحمد الله

الملخص:

إنّ دراسة موضوع ثنائية (العنف / المرأة) في رواية غسان كنفاني الموسومة ب :" أم سعد" تهدف إلى الكشف عن ظاهرة العنف الممارس ضدّ المرأة في الأعمال الروائية العربية الحديثة عموما و الفلسطينية خصوصا .

كما تناولت الدراسة العنف العسكري الذي تتميز به الرواية الفلسطينية ، و صورة المرأة في رواية أم سعد التي تمثل المرأة الفلسطينية عموما بهدف معرفة ما مدى تحدي المرأة للعنف الممارس ضدها ، وما هي الثنائية التي غلبت أو سيطرة على الأخرى.

Résumé:

l'etudebilaterale (violence/ fèmme) dans la romane de Ghassankanfani nom né oumessaad. conçu poormetu le point sur le phénoméne de la violence contre les femmes et cela grace aux oeuvresromeucieers arabes un genéral et surtout palestiniens

l'etude portait également sur la violence militaire qui est caractérisée dans le romane palestinien et l'image de femme dans le romane d Oumessaadreflete l'image de la femme palestinienne en général pour connaitre l'ampleur du défi de la femme à la violance contre elle , Quelle est la bilateral qui doniue l'autre.